جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الموضوع:

تربية الناشئة في المجتمعات الإباضية من خلال مصادرهم

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث

إعداد الطالبين:
الساسي نوي
توفيق شلالبة

إشراف الأستاذ:
عمار غرائسة

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الإنتساب
د. البشير غانية	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. عمار غرائسة	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. علال بن عمر	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية 1439/1438هـ - 2018/2017م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والصحابة رضى الله عليهم

إلى أبي رحمه الله تعالى

إلى أمي رحمها الله تعالى

إلى أخي وأختي حفظهما الله

إلى زوجتي العزيزة التي ما فتئت تشجعني على مواصلة الدراسة

إلى كل أبنائي وتمنياتي لهم بالنجاح في الدراسة والتوفيق

إلى أساتذتي الكرام في كل المراحل التعليمية

و إلى كل الاهل والأقارب والأصدقاء وكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى معلم البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى أبي عليه رحمة الله

إلى أمي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى أختي أسأل الله لها العافية والهداية

إلى زوجتي المثابرة المجدة

إلى كل أبنائي الأعزاء أسال الله لهم التوفيق وإتمام حفظ القرآن

إلى دعاة الإصلاح والتغيير

الأساتذة الكرام وطلبة العلم

إلى كل الأهل والأقارب نهدي هذا العمل المتواضع

شكر وعرفان

يا ربي لك الحمد والشكر على إتمام هذا العمل المتواضع

نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا المشرف : عمارة غرايسة الذي لم يبخل علينا نصائحه وتوجيهاته البناءة وتمنياتنا له بالنجاح والتوفيق و الإرتقاء في مساره المهني

إلى كل اساتذتنا الكرام الذين بذلوا جهودا جبارة في تعليمنا وتثقيفنا

إلى الطاقم الإداري بالجامعة وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد جزاكم الله وأثابكم

المقدمة

مقدمة

الدارس للتاريخ الإسلامي شقية في المشرق و المغرب الإسلامي يلاحظ إرتباطا وثيقا بينهما وذلك لأن الفتح الإسلامي للمغرب إنطلق من المشرق وعلى عكس الحملات السابقة الوافدة من المغرب خلال العصر القديم كالوندال والرومان و البيزنطيين التي لم تستطع الاستقرار في البلاد المغرب لكونها أتت غازية وتلقت مقاومة شرسة من السكان فالأمر مغاير تماما بالنسبة للعرب الفاتحين الذين حلوا ببلاد المغرب, وإن تلقوا مقاومة في البداية فسرعان ما إندمج السكان بهم وتعانوا معهم لكونهم حملوا مباديء سامية وعاملوا السكان معاملة حسنة وأصبح المغرب الإسلامي بعد فتحه ولاية إسلامية هذا الإرتباط الوثيق بين المشرق و المغرب الإسلامي يفسره بقتل المغاربة لفكر الحركات الإسلامية التي برزت بعد تحكيم صفين كالخوارج والشيعة . الذين نقلوا نشاطهم إلى بلاد المغرب واستطاعوا أن يأسسوا دولا هناك بعد فشلهم في انشائها في المشرق .

ومن مظاهر ذلك قيام دولة بني مدرار في سجلماسة سنة 140 هـ – 297 هـ و الدولة الرستمية 162 هـ – 297 هـ و الدولة الإدريسية 172 هـ – 375 هـ و الدولة الفاطمية 296 هـ– 362 هـ.

ولم يكتب لتلك الدول البقاء سواء كانت كدول أو مذاهب إلا الإباضية فقد قدّر لهم البقاء و الاستمرارية إلى يومنا هذا .

ويكمن السر في ذلك لحرصهم الشديد على نشر مذهبهم أسمى من تأسيس دولة . هذا الحرص جعلهم يولون التربية اهتماما بالغا من خلال عقد المجالس العلمية و الحلقات العلمية وتكوين طلبة العلم الذين عرفوا بحملة العلم الخمسة في مرحلة الكتمان, وبعد أن أخذوا العلم عادوا إلى بلاد المغرب وصاروا دعاة للمذهب, واستمر الإهتمام بالجانب التربوي و التعليمي بقيام دولة بني الخطاب ليكتمل في عهد الدولة الرستمية ويتواصل بعد سقوطها .

ومن هذا المنطلق فإن مثل هذه الحركة جديرة بأن يتناولها الباحثون وتنال حقها في الدراسات التاريخية ولا تبقى حبيسة إهتمام معتنقيها . وخصوصا أن الحركة تزخر بثرات مكتوب يحتاج إلى من يزيل اللثام عنه .

ومن أهم دوافع اختيارنا لهذا الموضوع :

1) كوننا نعمل في سلك التربية و التعليم فهذا الموضوع يحضى باهتمامنا .
2) رغبتنا في الإنفتاح و التقارب مع المذاهب الأخرى للوصول إلى الحقائق عنها بدلا من التعرض للأفكار السابقة .
3) الحركة الإباضية أو المذهب الإباضي ذات صلة بمنطقتنا سواء في وادي ريغ أو في وادي سوف فمعرفة تاريخها حتما سيقودنا إلى كشف معارف تاريخية للمنطقتين .

أما الأهداف التي نود الوصول إليها من خلال هذه الدراسة :

1) إيجاد قواسم مشتركة بين المذاهب الإسلامية لتقريب وجهات النظر بينها لإرساء دعائم التسامح و التعايش المشترك وقبول الفكر الآخر .
2) إثراء رصيدنا المعرفي و العلمي بالتعرف عن هذه المذاهب و الحكم عليها من خلال دراسة علمية أكاديمية .
3) إبراز دور التربية في نهضة الأمم و المحافظة عل كيانها وجعلها تتحكم في الظروف المحيطة بها وليس الظروف هي التي تتحكم فيها .

حاولنا من خلال عرضنا هذا الإجابة عن الاشكالية التالية :لماذا حرصت المجتمعات الاباضية على العناية بتربية وتعليم الناشئة, وتتفرع عن هذه الاشكالية اشكاليات فرعية :

1-ما الأهداف التربوية المرجو تحقيقها من التربية عند المجتمعات الإباضية ؟
2-ما هي المؤسسات التي اعتمدت لتحقيق تلك الأهداف في مرحلة الكتمان و في مرحلة الظهور ؟
3-ما هي الطرق و الوسائل المنتهجة لتحقيق ذلك ؟
4-ما أثر هذه العناوية التربوية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية و الثقافية و الدينية ؟

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة قسمنا العرض إلى ثلاث : مدخل تمهيدي يتناول نشأة الحركة الإباضية في المشرق و انتقالها إلى المغرب الإسلامي ونجاحها في تأسيس الدولة الرستمية فصل أول تضمن المجتمعات الإباضية وعنايتها بتربية الناشئة .

أما الفصل الثالث خصصناه لأثر تربية الناشئة في الحياة الاجتماعية و الثقافية و العقائدية و أنهينا العرض بخاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات .

إعتمدنا على مصادر رئيسية وبعض المراجع ومن أهم المصادر المعتمدة :

أ- المصادر السنية و أهمها :

1-سير الأئمة لابن الصغير المالكي كونه من أهم المصادر في تاريخ الدولة الرستمية وعاينها عن كتب واستقى معلوماته ممن عاصرهم .

استفدنا من كتابه خصوصا فيما تعلق بالجانب السياسي و الاجتماعي للدولة الرستمية .

2-كتاب الفصل في الملل و النحل لأبي الفتح الشهر ستاني (ت 548 هـ - 1153 م)
إستفدنا من الكتاب في تحديد أصل الخوارج و الإباضية .

2-كتاب السير و أخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 474 هـ / 1081 م)
زودنا بمعلومات هامة عن إباضية المغرب بالإضافة إلى الفتن و الحروب التي شهدتها إضافة إلى الجانب العلمي و الفكري .

3-سير الوسياني لأبي ربيع بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني (حي 557 هـ/1161 م) تضمن كتابه التجمعات الإباضية و أبرز مشايخها وبعض الآراء التربوية .

4-سير الشماخي لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت928هـ) يعتبر كتابه مصدر هاما عن الإباضية كونه يزخر بأخبار مشايخهم وسيرهم في المشرق و المغرب و مصدر هاما في التربية و التعليم عند الإباضية .

5–كتاب الطبقات لأبي العباس أحمد الدرجيني (ت حوالي القرن السابع الهجري) وهو عبارة عن تراجم لمشايخ المذهب جيلا بعد جيل في المشرق و المغرب .

6–كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات .لابي الفضل بن ابراهيم البرادي (حي 810هـ . 1407م استفدنا من كتابه من خلال قوائم المؤلفين الاباضيين وكتبهم التي اوردها في الجزء الثاني من الكتاب, وتظهر اهمية الكتاب انه استقى معلوماته من مصادر غير اباضية .

7– سير مشايخ نفوسة ومناقبهم من تاليف مقرين بن محمد البغطوري (حي سنة 599 هـ / 1203 م) استفدنا من الكتاب من خلال تعرفنا عن الكثير من شخصيات الجبل

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث .

- ضيق الوقت المخصص لمثل هذه الدراسات وزاد في صعوبة المهمة إرتباطنا بالعمل في مجال التدريس .
- صعوبة التنسيق بين المعلومات المختلفة و التي تتغير حسب طبيعة كل مؤرخ و انتماءاته

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف وكل من أمدنا بيد المساعدة لإنجاز هذا العرض راجين للجميع التوفيق و النجاح .

المدخل

نشاة الاباضية وظهورها في المشرق وانتقالها إلى المغرب الإسلامي

1- التسمية

2- نشاة المذهب الإباضي

3- معتقدات الإباضية

4- عوامل انتشار المذهب الإباضي في المغرب

5- قيام الدولة الرستمية

التسمية : قبل الخوض في الموضوع يجدر بنا أولا أن نحدد مفهوم مصطلح الإباضية لأن للمصطلح دلالة هامة في معرفة نشأة الاباضية وفهم أفكارها، ومن هذا المنطق فإن من الأهمية بمكان تحديد مفهوم مصطلح الإباضية .

تجمع الكثير من المصادر الإباضية وغير الإباضية على أن التسمية منسوبة من عبد الله بن أباض [1] .

وهناك اختلاف في اللفظ بين المشرق العربي و المغرب العربي، ففي المشرق ينطقونها بفتح الهمزة أباض وهي منطقة في اليمامة أما في المغرب فتنطق بكسر الهمزة إباض [2] . وعلى هذا الأساس تنسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض، رغم أن الإباضية لا ترى صحة هذا النسب لأن عبد الله بن أباض لم يكن له دور في التأسيس وهو مجرد شارح لأفكار جابر بن زيد [3] ومدافع عنها لذلك نُسبت إليه الحركة بدلا من المؤسس الحقيقي الذي أخفي أمره بالرغم من تواجده معهم في البصرة [4]

---

[1] عبد الله بن اباض : هو من بني صريم بن الحارث وهي إحدى قبائل مصر الرئيسية مواطنها نجد ومنها قدم إلى البصرة تصنفه كتب السير الإباضية في الطبقة الأولى التي ظهرن في النصف الأول من القرن السادس هجري .
أبي العباس محمد يزيد المبرد (ت 286 هـ / 899 م) : كتاب الكامل – أخبار الخوارج – ، دار الفكر لبنان ، ط 2005 ص 78 .

[2]. سالم بن حمود السمائلي : الحقيقة و المجاز في تاريخ الإباضية في اليمن و الحجاز وزارة التراث القومي ، مصر 1980 م ص 35

[3] . المبرد : ابي العباس محمد بن يازيد بن عبد الاكبر : اخبار الخوارج ، دار الفكر، لبنان 2005م. ص 78 .

[4] . جابر بن زيد : يكنى (أبا الشعثاء) من أزدعمان التجأ إلى البصرة وأخذ العلم عن ابن عباس وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وتعتبره المصادر الإباضية المؤسس الحقيقي لمذهبها ،وكان لارائه وزنها ومكانتها عند جميع الاباضية .الحمودي ياقوت : معجم البلدان د ط ج 2 دار الفكر ، بيروت ، د ت ص 243

غير أن اعتماد الإباضية على التقية جعلهم يقبلون نسبة حركتهم إلى عبد الله بن أباض واخفاء جابر بن زيد الشخصية الحقيقية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بنو أمية أشاعوا هذه التسمية ونسبتها إلى عبد الله بن اباض بغرض اضعاف الحركة وربطها بشخصية غير كاريزمية حتى لا يقوى على المعارضة ضدهم [1] .

ومن التسميات التي عرفوا بها أيضا و إن كانت أقل تداولا : القعدة [2] ونعتهم بها عبد الله بن الأزرق [3] لرفضهم رفع السيوف في وجوه المسلمين المخالفين لهم في الرأي وبقوا في البصرة [4].

أما التسميات التي سموا بها أنفسهم منها على سبيل المثال : أهل الدعوة لأن حركتهم تتضمن التبليغ و لتمييزها على الحركات الأخرى كالأزارقة التي تلجأ الى اعتماد العنف لإجبار الناس على الخروج عكس الاباضية التي تعتمد الإقناع لإيصال أفكارها لمعارضيها وتفضيلها طريق الدعوة في صراعهم مع الحكام وخاصة بعد نفي جابر بن زيد إلى عمان[5] كما تسموا أيضا

---

[1] . محمد علي ديوز : تاريخ المغرب الكبير ط 1 (1327 هـ / 1963 م) دار حياة الكتب العربية ص 20.

[2] القعدة : هم احدى جماعات الخوارج توجهت بعد واقعة النهروان (73هـ/657م) إلى البصرة بقيادة أبي بلال مرداس وكان يرى ضرورة العمل الدعوى والتزام السكينة وأنكر قتل المخالفين وسماهم بهذا الاسم عبد الله بن الأزرق لأنهم رفضوا حمل السلاح ضد السلطة .

[3] . نافع بن الأزرق : نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي رئيس الأزارقة واليه نسبوا وكان امير قومه وفقيههم وهو من الذين

4 .يحيى بن ابي بكر أبي زكرياء الوارجلاني : مصدر سابق ص 2.

5 . علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الاول نشاة المدهب الاباضي ، ط 1 دار الكتاب العربي القاهرة 1384هـ 1964م ص 16 .

بجماعة المسلمين فهم يصنفون الناس إلى ثلاث : مسلمين ومشركين وكافرين : وبحكم أنهم يرون المخالفين لهم من أهل القبلة كفار نعمة وبالتالي يبقون هم الوحيدين جماعة المسلمين [1] .

ومن خلال ما تقدم نتساءل لماذا قبل الاباضيون هذه التسمية رغم انهم سموا أنفسهم بغيرها ؟

وما غرض خصومهم أيضا من تثبيت هذه التسمية لهم ؟

وجواب ذلك مرده إلى :

1)دعاة المذهب رأوا في ذلك فرصة لإخفاء المؤسس الحقيقي و بالتالي ضمان استمرار حركتهم.

ومن جهة أخرى فإن ربط حركتهم بعبد الله بن اباض لأنه من قبيلة تميم التي تملك قوة كبيرة في البصرة و بالتالي وقوفها إلى جانب هذه الحركة دعم لها ومؤشر لنجاحها .

وبالفعل فقد تمكن عبد الله بن أباض من نشر أفكار الفرقة دون خوف لأن له عصبية تحميه[2]

اختلفت الآراء حول نشأة الإباضية فمنهم من يرى أن أول ظهور لها كان سنة 64هـ / 683 م أو 65هـ / 684 م وهو تاريخ إنقسام الخوارج إلى معتدلين بزعامة عبد الله بن أباض ومتطرفين بقيادة نافع بن الأزرق [3] ومنهم من أرجع تاريخ الظهور إلى سنة 50هـ / 670 م، وارتبط ظهورها بجماعة القعدة بقيادة

1اروهان اتش : الاباضية من مصادرها ، بحث في النشاة والمفاهيم والعلاقات والواقع ، تر سعيد الحاج ، نقد باباعلي ، اطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في تاريخ المداهب ، اشراف توفيق يوجد دوغرو ، جامعة اولو داغ ط1 ، مطبوعة كتابك ، 1435 هـ – 1014 م ، ص 47 .

2 . علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير مرجع سابق ص 398 .

3 النامي عمرو: دراسات عن الإباضية ط 1 دار الغرب الإسلامي بيروت 2001 ص 61 .

أبي بلال المرداسي[1]، وتعود بواذر الظهور الأولى للحركة إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حين اعترض رجل من بني تميم يُدعى الخويصرة حرقوص التميمي الرسول في عدله عند تقسيم الغنائم بعد غزوه خيبر وهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بضربه لولا تدخل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن الظهور الحقيقي للإباضية يرجع إلى معركة صفين حين فارق الخوارج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إثر قبوله التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان وإتخد هؤلاء موقفا معاديا اتجاه الطرفين واتخذوا زعيما لهم وهو عبد الله بن وهب الراسبي [2]

ونادوا لا حكم إلا الله ثم قصدوا قرية حدورة [3].

لذلك سمي الخوارج الأوائل الحرورية . ومع مرور الزمن كثرت جموعهم بالتحاق عدد كبير من أتباع علي بن أبي طالب واحتلوا موقعا على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند النهروان ، ولما استأنسوا من أنفسهم قوة جاهروا بالعداوة ضد كل من يخالف أمرهم .

نشأة المذهب الإباضي :

يرتبط المذهب الإباضي ارتباطا وثيقا بالمذهب الخارجي وهذا المذهب وكما هو معلوم نشأ بعد مسألة التحكيم بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه[4] وكان الخوارج

1 إسماعيل حمود : الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية د ط ، دار القلم بيروت لبنان د ت ص 20-21

2 عبد الله بن وهب الراسبي : من بني راسب بن مالك بن مدعان بن مالك بن نصر بن االازد لقب بدي الثفنات ، لكترت سجوده صار في يديه وركبتيه تفنات كتفنات البعير كان شديد البغض لعلي بن ابي طالب. ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ط 1 ، ج5 تح علي محمد البخاري، دار الجيل بيروت 1412هـ 1992م ص 100.

النهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط . ياقوت الحموي مصدر سابق ج 1 ص181

3 حدورة : قرية بالقرب من الكوفة .

4 ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد الشماخي : السير، در و تح، محمد حسن، ط1، ج1 دار المدار الاسلامي 2009م ص

في بادئ الأمر من شيعة سيدنا علي إلا أن قبوله مبدأ التحكيم بعد وقعه صفين [1] جعلهم يخرجون عليه لاعتقادهم أن مبدأ التحكيم خطأ .

وغالى الخوارج فاتهموا عليا بالكفر واشترطوا للرجوع إلى صفه أن يقر بنفسه بالخطأ لدى فإنه للتحكيم وقبوله به وأن تتراجع من ناحية أخرى عن شروطه لمعاوية [2]

وقد اختلف في تسميتهم فعرفوا بالخوارج لخروجهم في سبيل الله عملا بالآية الكريمة

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾النساء: ١٠٠ وعرفوا أيضا بالشراة و المحكمة و الحرورية، فهم شراه لأنهم باعوا أنفسهم لله (ومن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) وهم محكمة لأنهم بعد خروجهم على علي كرم الله وجهه اتخذوا شعاراً لهم (لا حكم إلا لله) [3]

وهم حرورية نسبة إلى قرية حروراء الواقعة على مقربة من الكوفة وهذه القرية لجئوا إليها بعد رفض الإمام علي الإدعان لرأيهم، و قد أمروا ملكهم عبد الله بن وهب الراسبي .

وبمرور الزمن كثرت جموعهم بالتحاق عدد كبير من أتباع علي بن أبي طالب و احتلوا موقعا على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند النهروان [4].

1 صفين : هي موقع على نهر الفرات بالقرب من مدينة مسكنه بين حلب و الجزيرة وقعت فيه معركة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وانتهت بالتحكيم : ياقوت الحموي : ، مصدر سابق ج 3 ص 414 .

2 صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739 هـ) الفرق بين الفرق ، دون ، د ط ، د ت ص 18

3 ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد الشماخي: مصدر سابق ص 47

4 النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط في الجانب الشرقي ياقوت الحموي : مصدر سابق ج 1 ص 181 .

ولما استأنسوا من أنفسهم قوة جاهروا بالعداوة ضد كل من يخالف أمرهم ولا يتبرؤ من علي وعثمان ومعاوية . ولم يتورع بعضهم على قتل الصحابة الأبرياء و النساء ومن هؤلاء القتلى عبد الله بن حباب وزوجته بسبب رفضهم تكفير علي بن أبي طالب .[1]

ولما علم علي بن أبي طالب بالأمر بعث إليهم يطلب منهم تقديم القتلة ليقتلهم مقابل تركهم لكنهم ردوا عليه " كلنا قتلة ومستحل لدمائكم " [2]

فاضطر أن يقضي عليهم عند النهروان و أحرز نصر مبينا إلا أنه لم يقض عليهم نهائيا وكان من بين القتلة في صفوفهم عبد الله بن وهب الراسبي (ت 38هـ – 658م)

وهذا ما زادهم حقدا على علي ابن أبي طالب وتكتلا ضده وقد قُدر للإمام أن يموت بطعنة على يد أحد منهم وهو عبد الرحمن بن ملجم، و حسب المصادر التاريخية فإن الخوارج فرعان رئيسيان :

1- فرع استقر في العراق وما حولها، أهم مراكز لهم هو البطائح قرب البصرة وبرز منهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة [3].

2-فرع استقر في جزيرة العرب و توسعوا في اليمامة و الطائف و اليمن وحضر موت

3-و أشهر أمرائهم أبو طلعت ونجدة بن عامر [4]

---

1 أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر كتاب سير الأئمة تح وتع اسماعيل العربي ، المكتبة الوطنية الجزائر 1979 – 1399 هـ ص 1

2 المصدر نفسه ، ص 2

3 مصطفى الرافعي : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، دار الكتاب اللبناني –دار الكتاب المصري ، بيروت لبنان 1978 ص 177-178

4 صفي الدين عبد المؤمن البغدادي : الفرق بين الفرق مصدر سابق ص 93

وبحلول سنة 64 هـ بدأت تظهر بوادر الانشقاق الأولى في صفوفهم فقد انقسموا إلى فرق مختلفة وقد عد المؤرخون نحو إحدى وعشرين فرقة إنبثقت كلها عن أربع فرق رئيسية هي الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق و الصفرية أتباع زياد الأصفر و النجدات أتباع عطية بن عامر الحنفي والبيهسية أتباع أبي بيهس إلهيصم بن جابر و الإباضية أتباع عبد الله بن أباض [1] ولا تزال هذه الفرقة حتى الآن في عمان وشرق افريقيا و الجزائر .

وتعتبر المصادر الإباضية جابر بن زيد المؤسس الحقيقي للمذهب فهو عندهم الزعيم الروحي والفقيه و المفتي أما عبد الله بن اباض فهو المسؤول عن الدعوة للمذهب [2].

وتولى جابر بن زيد الرئاسة بعد مقتل أبي بلال المرداسي سنة 61 هـ – 681 م ويعتبر من أكبر علماء الإباضية وهو الموطد لدعائم المذهب على الأسس التي وضعها شيخه عبد الله بن اباض [3] ومن الظروف التي ساعدته على تثبيت دعائم المذهب انشغال الحجاج بن يوسف الثقفي بقتال المتطرفين من الخوارج وكان الحجاج عاملا لعبد الملك بن مروان الذي تعاطف مع الاباضيين وتقرب منهم بالإضافة إلى انتهاج جابر بن زيد سياسة المهادنة معه رغم ما اشتهر به الحجاج من قسوة [4] .

1 الدرجيني أبو العباس : احمد بن سعد : طبقت المشايخ بالمغرب ، تح ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث الجزائر دط ، دت ج1 ص 214 .

2 ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد الشماخي: مصدر سابق ح1 ص 72–73 .

3 المصدر نفسه ص 75 .

4 أبي زكرياء يحيى بن أيمي بكر : مصدر سابق ص 4

ولم تستمر هذه المهادنة طويلا بين الاباضية و الحجاج إذ أخذت العلاقات تسوء بعد وفاة عبد الملك بن مروان سنة 86هـ [1] وكان من نتائجها تشتت رجال المذهب بعد جابر بن زيد وساروا إلى عمان وغيرها من المناطق[2] ومن أشهر الأئمة بعد جابر بن زيد أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وهو ممن تتلمذوا جابر بن زيد [3] ونظرا لنشاطه الدؤوب تعرض له الحجاج فأدخله السجن ولم يخرج منه إلا بعد وفاة الحجاج سنة 95 هـ / 713 م واستأنف نشاطه في بحيطه وحذر وسرية تامة [4] فقام تأسيس مدارس سرية بهدف تكوين دعاة للمذهب وأهمها المدرسة التي أنشأها في سرداب بقرب البصرة وكان يشرف عليها بنفسه فكان يدرس الدعاة سرا وكان الطلبة يتهافتون عليه في ذلك السرداب من مختلف الأمصار لا لمدينة حضر موت و القيروان وبعد تعليمهم أصول المذهب يرسلهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي [5].

وقد لاقت نجاحا في شبه الجزيرة العربية وتأسست هناك دولة إباضية كبرى شملت عمان وحضرموت و اليمن و الحجاز، كما لاقت نجاحا في المغرب إلا أن دولتهم في شبه الجزيرة العربية سرعان ما قضى عليها الأمويون في حين استمر وجودها في بلاد المغرب .ويعود الفضل في ذلك لسلمة بن سعد الحضرمي وارتكز عمله في هذا الصدد على امرين :

1) أن ما يصدر من سلوك الحكام الأمويين ليس ما جاء به القرآن وإنه مخالفة لأمر الله .

1 ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد الشماخي: مصدر سابق ص 78

2 المصدر نفسه ص 78

3 جابر بن زيد الأزدي البصري 21 هـ / 93 م يلقب بأبي الشعثاء من التابعين من أئمة البصرة صاحب ابن عباس ويعتبر بحرا من بحور العلم الزركلي خير الدين : الاعلام ، دار العلم لبنان ط 15 2002 ، ج 2 ص 104 .

4 فاروق عمر فوزي : الامامة الاباضية في عمان ،منشور جامعة ال (بيت) عمان ، ص 28 .

5 محمود اسماعيل : دراسات في الفكر و التاريخ الإسلامي ط 1 سينا للنشر ، 1994 ج2 ص 136 .

2) عمل ميداني يتمثل في اختيار فئة من الشباب الذين يتوسم فيهم الصفاء و الذكاء و النبوغ لدعوتهم إلى السفر إلى بلاد المشرق من أجل طلب العلم و استكمال دراستهم على يد كبار العلماء [1] كما يعود الفضل الى حملة العلم الخمسة منهم عاصم السدراتي، ابو داود القبلي النفزاوي واسماعسل بن درار الغدامسي، وأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغافري[2] عبد الرحمان بن رستم، سلمة بن سعيد بن اسد الحضرمي [3].ومن حملة العلم كذلك سلمة بن أبي سعيد [4] وكان لسلمة بن أبي سعيد بن أسد الحضرمي دور في انتشار المذهب في بلاد المغرب فقد قال " وددتُ أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما من غدوة الليل و لا أبالي أن يُضرب عنقي " [5]

خلاصة القول ومن خلال ما تقدم يتبين جليا إرتباط وثيق بين الخوارج و الإباضية من حيث النشأة هذا ما تذهب إليه المصادر الغير إباضية والتي ترى أن المذهب الإباضي فرعا من حركة الخوارج إنفصل ليشكل مجموعة معتدلة [6] .

أما المصادر الإباضية فتعتبر الحركة استمراراً للمعارضة التي اسقطت الخليفة عثمان بن عفان وتنظر إلى تلك المعارضة رفضا إسلاميا صرفا وواجبا يقوم به صحابة النبي الذين أرادوا

---

1 يحيى معمر : مرجع سابق ص 15 – 24 .

2 أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغامزي : تلقى أصول الإباضية على يد أبي عبيدة وسمح له هذا الأخير بالافتاء ، أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر مصدر سابق ص 38 وكذلك الدرجيني مصدر سابق ص 21 .

3 بكير بن سعيد أعوشت : دراسات اسلامية في اصول الاباضية ، ط3 دار التضامن للطباعة القاهرة، 1408هـ–1980م . ص 16 .

4 سلمة بن سعد هو أول من نقل مباديء الاباضية و أول دعاتها في بلاد المغرب في بداية القرن الثاني هجري ، الدرجيني ،مصدر سابق ص 11

5 ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد الشماخي : مصدر سابق ص 90 .

6 ابن النديم : الفهرست ص 258 .

البرادي ابو القاسم بن ابراهيم : الجواهر المنتقاة في ما اخل به كتاب الطبقات ، ددن ، دط ، دت ، ص 329

أن يتقيدوا بسنة الرسول وخليفتيه الأولين [1] .

المصادر الإباضية فمن الصعوبة بمكان معرفة رأيها هذه القضية في تلك الفترة نظرا لما إكتنف الحركة من سرية وكتمان .

أما من خلال المصادر الحديثة و المعاصرة فتجمع على أن المصادر السنية و الشيعية تعمدت ربطها بالخوارج لعامل الحقد والحسد بسبب التعصب المذهبي [2] ومحاولة إخفاء حقيقة المذهب الذي تبني مبدأ مقاومة النظام الملكي والحكام الجائرين [3]، وبالتالي التقرب من هؤلاء الحكام بإلحاق التهم بالإباضية [4] وينفون صلتهم بالخوارج جملة معتمدين في ذلك على قول مؤسسهم الحقيقي جابر بن زيد حيث قال " لكننا باسم الله نختلف مع ابن الأزرق [5] وأنصاره، بين ثاروا بدا لنا أنهم كانوا على دين المسلمين لكنهم تركوه بعد ذلك و أصبحوا كافرين .

ويذكر الشيخ ابراهيم أطفيش أن الخوارج لما كانوا من منكري التحكيم، فقد تولى كثير من الذين ينتمون إلى المذاهب المتعصبة إدماج الإباضية في هؤلاء الخوارج ظلما وعدوانا [6] ولو كان كل من خرج على علي مستحقا هذا الاسم لكان الأولى به معاوية وعائشة وطلحة بن الزبير وهم من خرج على الإمام الشرعي [7]

---

1 المصدر نفسه ص 102

2 البرادي أبو القاسم مصدر سابق ص 219 .

الشامخي (أحمد) مصدر سابق ج1 ص 48 و 53 .

3 محمد ناصر: الشيخ اطفيش في جهاده الاسلامي ، دط ، جمعية التراث الاسلامي دت ، ص 48 – 146 – 149

4 واعلي بكير : الامامة عند الاباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع اهل السنة والجماعة ، ط1 ج1،المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر 2001م ص 08

5 البرادي : المصدر السابق ، ص 165 .

6 محمد ناصر : الشيخ اطفيش مرجع سابق ص 145 – 147

7 بكير بن سعيد أعوشت: مرجع سابق ص 59

معتقدات الاباضية

ـ ترتكز مبادئ ومعتقدات الاباضية و أرائهم في جملة من المبادئ منها :

1 . مرتكبو الكبائر موحدون وليسوا بمؤمنين و أن كل كبيرة كفر نعمة لا كفر شرك[1]
و أن مرتكبي الكبائر خالدون مخلدون في النار[2] و اختلفوا في شأن أطفال المشركين فقال أكثرهم بإيلامهم في الآخرة على غير طريق الانتقام و جوزوا أن يدخلهم الله الجنة تفضلا [3]

2 . يقولون بخلق القرآن و من الأدلة التي ذكرها الورجلاني :أن الأدلة على خلق القرآن كثيرة فقد وصفه الله عز و جل في كتابه و جعله قلرآنا مجبولا منزلا مسموعا بالأذان مقروءا بالألسن مكتوبا في المصاحف و في قلوب الذين أوتوا العلم [4]

3 . استحالة رؤية الله في الدنيا و الآخرة و يقول عبد الوهاب بن محمد بن غالب بن نمير الأنصاري << لم نجد شيئا مرئيا إلا في إحدى الجهات الست .....و قد قام الدليل على نفس الجهات و الأماكن عن الله تعالى لأنه لا يوصف بالأماكن و لا الحدود و لا المقابلة و لا تجوز عليه المعاينة[5] .

---

1 ابو الحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1 المكتبة العصرية بيروت 1411هـ ج1 ص 189

2 مؤلف مجهول : السير والجوابات لعلماء وائمة عمان ، تح و ن سيدة اسماعيل كاشف ، دط وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان 146 هـ –1986م ص 222.

3 الورجلاني ابو يعقوب بن يوسف بن ابراهيم : الدليل والبرهان ، تح سالم بن احمد الحارثي ، دط وزارة التراث القومي سلطنة عمان 1403هـ – 1983 م ص 22

4 نفسه ص 22.

5 الورجلاني ابو يعقوب بن يوسف بن ابراهيم : مصدر سابق ج2 ص22

4 ـ مخالفيهم من أهل الصلاة كفارا و ليسوا مشركين :حلال مناكحتهم و موارثتهم ، حلال غنيمة أموالهم من السلاح عنذ الحرب و حرام قتلهم وسبيهم في السر إلا من دعا إلى الشرك في دار التقية و دان به [1].

5 ـ دار مخالفيهم دار توحيد إلا عسكر السلطان فانها دار كفر

. الإيمان عندهم قول و تصديق و عمل و ليس قولا و تصديقا فقط دون عمل

ـ لا يرون لزوم الإمامة في عنصر خاص و هي عندهم أربعة إمامة الظهور و إمامة الدفاع وإمامة الشراء و إمامة الكتمان [2].

. نفيهم التشبيه عن الله تعالى

– مصادر التشريع عندهم هي القرآن و السنة و الإجماع و القياس و الاستدلال

– شفاعة النبي لا تكون لمن مات مصرا غير تائب إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة أو مات وقد نسي ذنبا أن يتوب منه أو بزيادة درجه في الجنة.

– يرى الإباضية أن العلم و القدره و الإرادة و سائر الصفات التي يوصف بها الله تعالى هي صفات و ليست معاني و أن صفات الله عز و جل لا تدل على معاني تلازمه و تفارقه بل هي مثل صفة الوجود له على أنه ليس هناك وجود غيره يخالفه أو يوافقه.

1 ابن حزم الظاهري الاندلسي: الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تح محمد ابراهيم و عبد الرحمان عميرة ط 2 ، دار الجبل ، بيروت 1416 هـ 1996م ج5 ص 273.

2 2 الورجلاني ابو يعقوب بن يوسف بن ابراهيم : مصدر سابق ص

– القول بأن الله حي إخبار عن أن الذات ليست ميتة و أنه تعالى له التصرف في الغير و قولنا أن الله قادر إخبارنا بأن الذات ليست عاجزة و لا يعوزها شيء والإباضية يوحدون بين الذات والصفات[1]. اما موقفهم من الخلافة فيرون بأنها يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين .

عوامل انتشار المذهب الإباضي في المغرب

يرتبط ظهور الإباضية بالمغرب بقدوم سلمة بن سعد سنة 95 هـ 105هـ /712 م – 722م [2] بن أسد الحضرمي ويستشف هذا من خلال قوله " وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوما ومن غدوة الليل فما أبالي أن يضرب عنقي" [3]

ان بعض المصادر الإباضية تورد رواية أخرى منها أن أب عبد الرحمان بن رستم كان متوجها من العراق ومعه ابنه عبد الرحمان وزجته قاصدا المغرب، فلما كان بمكة أو قريبا منها التقى عبد الرحمان وأمه بحجاج من أهل المغرب فتزوجت أم عبد الرحمان برجل من القيروان [4] .

هذه الرواية تعطي دلالة على وجود المذهب الإباضي . في بلاد المغرب فذهاب رستم إلى بلاد المغرب لم يكن صدفة و إنما لعلمه أن هناك من البربر من اعتنقوا المذهب الإباضي وبالتالي الجو مهيء لإنشاء دولة إباضية في المغرب بعد الاخفاق في تأسيسها في المشرق .

ومن جهة أخرى فإن أم عبد الرحمان بن رستم كانت إباضية مثل زوجها ويرجح أنها كانت على علم بأن هؤلاء الحجاج المغاربة إباضيين ولذلك قبلت الزواج من أحدهم لأن المنطق يفرض

1 الورجلاني ابو يعقوب : مصدر سابق ص 54

2 سلمة بن سعد بن علي الحضرمي اليمني هو أول من جاء بالإباضية من البصرة في بداية القرن الثاني هجري (8م) معجم اعلام الإباضية ج2 ص 187–188 .

3 أبو زكرياء (يحيى) مصدر سابق ص 45 .

4 المصدر نفسه ص 54– 55 .

عليها بعد وفاة زوجها أن تبقى مع الوفد الآتي من العراق وتعود معهم [1] .

ومهما يكن من أمر فإن انتشار المذهب الإباضي في المغربين الأدنى و الأوسط كان بعد مجيء سلمة ابن سعد وكانت قبائل نفوسه وهوارة ولواته و زهانه أولى القبائل اعتناقا للمذهب الإباضي

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور المذهب و انتشاره في بلاد المغرب :

1) أحوال الخوارج في المشرق حتى أوائل القرن الثاني هجري، فقد فشلت ثوراتهم ويرجع ذلك إلى تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسي و افتقارهم إلى التنظيم السياسي [2]

وتعمد القيام بثورات دون تنظيم[3]، مما سهل على الخلافة الأموية وولاتها مهمة مناهضتها لاستئصالها مما أدى بالحوارج اللجوء إلى أسلوب التنظيم والدعوة السرية وبث الدعاة في أطراف العالم الإسلامي لنشر تعاليم المذهب .

2) سوء معاملة عمال العصر الأموي الأخير للبربر: [4]

3) ومن مظاهر هذه المعاملة ارهاق البربر بالمغارم والجبايات واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب رغم اعتناقهم الاسلام وحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز [5]وضع حد لتسلط الولاة واستعاده ثقة البربر في الحكومة الاسلامية فعين على المغرب واليا تقيا هو اسماعيل بن عبيد الله و أمره بإسقاط الجزية .

---

1 النامي عمرو: دراسات عن الاباضية ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت 2001 م . ص 40 .

2 اورهان انش : مرجع سابق ص 54 .

3 ابو زكرياء يحي بن ابي بكرالورجلاني : مصدر سابق ج1 ص 27

4 يوليوس قلهوزن :احزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام (الخوارج والشيعة) تر عبد الرحمان بدوي ، د ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1985 م ، ص 280 .

5 عمر بن عبد العزيز (61هـ – 101هـ / 651م– 720م) من خلفاء بني امية اشتهر بالتقوى والتمسك بالدين ، انصرف الى الاصلاح الداخلي والمالي واظهر تسامحا مع العلويين والنصارى والموالي . منجد اللغة والاعلام ص 477.

على من اسلم وتحرير من استرق من نسائهم [1]، وقد حرص عمر بن عبد العزيز على تولية اسماعيل بن عبد الله وكلفه بالإدارة والحرب وجمع الخراج و الصدقات ليحول دون جور الجباة واستبدادهم [2] .

لكن هذه السياسة انتهت بوفاته وعادت الخلافة إلى سيرتها الأولى من خلافة يزيد بن عبد الملك وُلي على المغرب يزيد بن أبي مسلم فاستبد بالأمر وقضى على الإصلاحات التي قام بها سلفه ونسب إليه أنه أهدر كبريائهم بوشم حرسه من البربر، فكان يشم الرجال يده اليمنى باسمه وفي يده اليسرى بكلمة حرسي و أدى ذلك إلى شعور البربر بالمهانة [3] .

وازدادت الأحوال سوءا في ولاية عبد الله بن الحبحاب الذي جنّد الجيوش لسلب البربر وسبيهم.

ولا شك أن مثل هذه المعاملة من شأنها أن تُثير مشاعر الحقد و الكراهية عند البربر على الولاة و الخلفاء على حد سواء، مما أوجد مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج .

4- طبيعة المذهب في نظرته للخلافة :

فالمذهب يرى أن الإمامة حق متاح لكل مسلم[4]، فبديهي أن يلقى قبولا لدى البربر الذين حُرموا من المساواة مع العنصر العربي الحاكم كما المذهب يقول بالثورة على الجائرين من الحكام، فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لانتفاضاتهم على الحكم العربي .

---

1 يوليوس فلهون : المرجع السابق ص 280

2 ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله : فتوح مصر والمغرب، تح عبد المنعم عامر، الذخائر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ت ، ص 287 .

3 البلاذري احمد ابو الحسن احمد بن يحي بن جابر : فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ط1،لبنان ، د ت ص 273

4 ابو مظفر الاسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تح كمال يوسف الحوت، عالم الكتاب، بيروت 1403 هـ - 1983 م ص 46.

وبالنظر إلى عدواة بني أمية للخوارج من جهة ومعاملتهم للبربر معاملة العدو من جهة أخرى . كان من الطبيعي أن التقاء كل منهما أي البربر و الخوارج في خندق واحد ضد العدو المشترك . وفضلا عن ذلك فأفكار الخوارج تتسم بالوضوح وعدم الميل إلى التأويل جعله يتلاءم مع عقليه البربر [1] وبعبارة أخرى كان فكر الخوارج متسقا مع طبيعة البربر المعروفين بإقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله واعتداله .[2]

5-قوة التنظيم الإباضي :

يعزى الانتشار الواسع للمذهب الإباضي في المغرب إلى دقة التنظيم وسريته و التكوين الخاص الذي يحصل عليه دعاة في البصرة وكذا اعتمادهم على أبناء المنطقة في نشر دعوتهم فكان حملة العلم الذين يتجهون إلى البصرة لتلقي تكوينهم يختارون بشكل تمثيلي وهو ما جعل الدعوة للإباضية تحض بقابلية أكبر بين البربر.[3]

كما أن اعتدال الفكر الإباضي ساعد على رواجه في بلاد المغرب على النقيض من الصفرية المتطرفين .

الذين استحلوا الأموال و سبي النساء و أهل الذمة وسفك الدماء [4].

- دور الكبير لسلمة بن سعد حملة العلم فقد كانوا يقطعون المسافات البعيدة ويقضون سنوات عديدة بالبصرة ثم يعودون إلى بلدانهم ليقوموا برسالة التبليغ [5].

1 عبد الرحمان ابن خلدون : مصدر سابق ، ج6 ، ص207.
2 شعباني صلاح الدين : مرجع سابق ص 20 .
3 النامي عمر مرجع سابق ص 113-114 .
4 نفسه ص 21
5 الناس عمرو : مرجع سابق ص 114

قيام الدولة الرستمية :

تنتسب الدولة الرستمية إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم[1] قاضي القيروان لأبي الخطاب [2].

وعندما توجه أبو الخطاب بن السمح المغافري إلى طرابلس لملاقاة جيوش ابن الأشعث [3] المرسلة من قبل أبي جعفر المنصور كان عبد الرحمن بن رستم متجها لطرابلس لنجدة إمامه .

وما أن بلغته أخبار الهزيمة ومقتل إمامه عاد إلى القيروان لكنه اضطر إلى مغادرتها عندما علم بنشوب ثورة ضده ووصول ابن الأشعث إليها [4] .

ولم يكن له من أمر إلا اللجوء إلى المغرب الأوسط لوجود قبائل إباضية هناك . وتحصن في جبل سوفجج لملاحقته من طرف ابن الأشعث الذي فرض حصارا محكما على عبد الرحمن بن رستم ورجاله، غير أن الحصار كان مآله الفشل لمناعة الجبل مما إضطر ابن الأشعث إلى العودة [5] بعد أن حل الوباء بجيشه وأفنى الكثيرين من رجاله [6] .

---

1 عبد الرحمن بن رستم : من أصل فارسي كان أبوه بهرام من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، نشأ عبد الرحمن نشأة عربية اسلامية ، درس بالبصرة ومنها أخذ المبادئ الإباضية ، انضم إلى أبي الخطاب و انتهى به الأمر إلى المغرب وأصبح الدراع الأيمن لأبي الخطاب وبعد مقتل الأخير أصبح هو الإمام المعترف به للإباضيين في المغرب سنة 168 هـ . ابي زكرياء : كتاب السير الأئمة وأخبارهم تح اسماعيل العربي المكتبة الوطنية ، الجزائر 1979 م / 1399 هـ . ص 36

2 أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغافري : زعيم ديني إباضي وقائد عسكري ومن حملة العلم تولى الدعوة السرية ،استولى على طرابلس سنة 191 هـ وتمكن ممن انقاد القيروان من الخوارج الصفرية بعد هزيمة وفرجومة لكنها استطاعت أن تخرجهم من القيروان سنة 144 هـ / 861 م الدرجيني مصدر سابق ص 121 .

3 ابن الأشعث : وال من كبار القادة في خلافة أبي جعفر المنصور ولاة المنصور مصر سنة 141 هـ ودخل القيروان سنة 146 هـ و التنظيم له الأمر في إفريقيا ثم غزا الروم مع العباس ابن عم المنصور ومات في الطريق سنة 194 هـ : أبو عمر محمد بن يوسف الحصري الكندي :الولاة و القضاة ، تح حسن أحمد محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ص 113 .

4 الباروني النفوسي سليمان بن الشيخ عبد الله ، الأزهار الرياضية ، د د ن ، د ط ت، ص 2 .

5 نفسه ، ج 2، ص 4 .

6 أبو زكرياء يحي ،مصدر سابق ،ص 11.

وبرحيل ابن الأشعث غادر عبد الرحمن و أنصاره سوفجج إلى تيهرت القديمة حيث توجد القبائل الإباضية التي رحبت به و خاصة قبيلة حمادية لمعركه سابقة بينه وبينهم عندما كان نائبا لأبي الخطاب على افريقية [1] .

واختار الإباضية موقع لإنشاء مدينة تكون عاصمة لملكهم وأجمعوا على إختيار موضع تاهرت في مكان مسطح مرتفع حصين و ملائم للرعي يتوسط ديار الإباضية [2] . فشرعوا في إزالة الأجام وحرق الأشجار واستعانوا في بناء المدينة بالأموال التي ترد إليهم من طرابلس في تخطيط وبناء المدينة [3] .

فبدأوا ببناء المسجد الجامع في المكان الذي أقاموه لصلاتهم عندما كانوا يزيلون الأشجار [4].

لم يكن الاختيار للمدينة (تيهرت) بمحض الصدف بل أملته جملة من العوامل منها : ملائمة المناخ وخصوبة التربة ووفرة المياه في وكونها في مأمن من العدو [5]، أضف إلى ذلك فهي تتوسط التل و الصحراء وبذلك فهي حلقة وصل بين تجارة الصحراء وما وراء البحر على الطريق بين المغرب الأقصى و الأندلس [6] ، يضاف إلى ذلك وقوع تيهرت في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة [7]

1 المصدر نفسه ص 11.

2 أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي مصدر سابق ،ص 146.

3 أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ص 11.

4 أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي ، مصدر سابق ص 139.

5 محمد بن أحمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة خياط بيروت ، لبنان 1906 ص 28 .

6 الباروني النفوسي سليمان بن الشيخ عبد الله ، مصدر سابق ص 6 .

7 الحبيب الجنحاني : تاهرت عاصمة الدولة الرستمية المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40 تونس 1975 ص 11 .

وتلى ذلك بناء القصور و البيوت و الأسواق [1]، ثم أحاطوا المدينة بسور جعلوا له أربع أبواب بغرض تأمينها من الأعداء لذلك أطلقوا عليها معسكر عبد الرحمن وقيل المعسكر المبارك و أضحت تاهرت بعد ذلك حاضرة الدولة [2] .

وبعد استكمال بناء المدينة بادر رؤساء الإباضية ومشايخهم إلى اختيار إماما لهم .

وتختلف المصادر في شأن المبايعة هل تمت قبل اختطاط المدينة أو بعدها .

فالبكري يذكر أن تقديمه للإمامة حدث بعد هروبه بأهله من القيروان [3] .أما ابن خلدون فيذكر أن عبد الرحمن لحق بإباضية المغرب الأوسط ونزل على لماية فاجتمعوا عليه وبايعوه [4]

وهذا ما تحقق فعلا فقد أجمع مشايخ الإباضية على اختيار عبد الرحمن بن رستم لدينه وسابقته وغير ذلك [5]، فقد كان من حمله العلم الخمسة إلى المغرب وعمال أبي الخطاب على افريقية فضلا على أنه ليس له قبيلة تمنعه إذا تغير و استبد بالسلطة [6].

ومن هذا المنطلق إرتضته القبائل لتتحاشى تسلط إحداها على الأخرى إذا ما ظفر رئيسها بالإمامة[7] .

---

1 أبو عبيدة البكري: المغرب في ذكر إفريقية و المغرب ، د ط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د س. ص 68 .

2 محمد بن أحمد المقدسي :مصدر سابق ، ص 219 .

3 أبو عبيدة البكري : مصدر سابق ص 68.

4 عبد الرحمان ابن خلدون :ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر ،سهيل زكار ،د ط ،ج 6 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، 1421هـ ،2009م .ص 121.

5 الدرجيني أبو العباس احمد بن سعد: مصدر سابق ج 1 ص 19 .

6 ابن الصغير المالكي: مصدر سابق ،ص 6 .

أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي: مصدر سابق، ص 140.

7 المصدر نفسه ص 140

وقبل عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة 162 هـ /779 م، وشرع في العمل على توطيد دعائم دولته ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول فيما يتعلق بالسياسة الداخلية و الخارجية [1] .

واتسمت سياسته الخارجية بالمهادنة في الخارج سواء مع عمال بني العباس أو مع دولة بني مدرار .

أما في الداخل أرسى دعائم الحكم و الإدارة فضلا عن ذلك أولى اهتماما بالغا بالنواحي الاقتصادية و العمرانية .

وتذكر المصادر جهوده في غرس البساتين وشق القنوات و إقامة المطاحن عليها [2]، وزاد في تعمير تاهرت و أقام الفنادق و المباني الخاصة للتجار ونظم الاحتساب عليها [3] فقصدها التجار من سائر أرجاء العالم الإسلامي وخاصة من فارس و العراق و القيروان وسجلماسة و بلاد السودان .

ولم يقتصر اهتمام الرستميين بالجانب الاقتصادي فحسب بل تعداه إلى الجوانب الأخرى وخاصة الثقافية، وما يدل على ذلك هو إقبال العلماء و الطلاب من المشرق و الأندلس [4] ولا غرابة أن يطلق عليها عراق المغرب تشبيها بعراق المشرق المزدحم بمختلف الأجناس و الملل و النحل [5].شملت الدولة الرستمية تقريبا كل أرجاء البلاد الجزائرية الحالية مابين إمارة الأغالبة شرقا

1 الباروني النفوسي النفوسي سليمان بن الشيخ عبد الله :مصدر سابق ،ص 43.

2 ابن الصغير المالكي: مصدر سابق، ص 12.

3 المصدر نفسه ص 16

4 المصدر نفسه ص 13

5 محمد بن أحمد المقدسي : مصدر سابق ، ص 288 .

و الأدارسة غربا وتمتد من الجنوب الشرقي حتى مدخل طرابلس من الغرب، كما كان جبل نفوسه خاضعا لها عدة سنوات.

الفصل الاول

المجتمعات الإباضية وعنايتها بتربية الناشئة

المبحث الاول: المجتمعات الإباضية

المبحث الثاني: اهداف التربية عند الإباضية ومظاهر العناية بها

المبحث الثالث: طرق ووسائل التربية والتعليم في مرحلتي الظهور والكتمان

المبحث الاول : المجتمعات الاباضية

1- جبل نفوسة

بعد موقعة النهروان تفرق الخوارج ثلاث فرق فرقة منهم استقرت في العراق و الثانية استقرت بالجزيرة العربية، أما الثالثة استقرت بالمغرب في جبل نفوسة [1], حيث موطن القبيلة التي نسبت إليها الجبل وهي الأكثر قبائل انتشارا اعتنقت المذهب الاباضي بعد اعتناق الدين الاسلامي في القرن الثاني هجري / الثامن ميلادي .

وللحاجة الماسة لتكوين كيان سياسة يحمي المذهب الاباضي نشأت في جبل نفوسة أول دولة إسلامية بزعامة أبي الخطاب سنة 141 هـ [2] .

عرفت المنطقة حركة علمية واسعة ونشاطا دينيا وبرز الجبل كعاصمة فكرية و إيمانية و بلغ العلم فيه مبلغا حتى غدت كل قرية لا تحتاج إلى غيرها في الافتاء, وكل أمل بيت لا يحتاجون إلى غيرهم في الافتاء .

وبرزت فيه من النساء في الفقه و الدعوة و حتى الإماء إذا خرجن إلى الاستقاء لا يرجعن حتى يدركن بينهن مسائل كتاب ماطوس.

[1] الحسن ابن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا محمد حجي و آخرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 1983 ، بيروت ج 2 ص 105 .

[2] جبل نفوسة : ينسب إلى إحدى القبائل الكبرى التي سكنت في الجبل منذ العدم وتعبد جبال نفوسة عن افريقية بنحو ثلاث أميال فيه مدينتان تسمى احداهما شروس و الأخرى جادو .
الحسن بن محمد الوزان : مصدر سابق ، ج2 ص 105 .

وفيه ثلاثمئة مسألة و مواعظ [1] .

2- تاهرت

بعد هزيمة أبي الخطاب أصبحت القيروان تحت ولاء العباسيين لجأ الاباضيون إلى المغرب الأوسط, حيث لجأعبد الرحمن بن رستم لنشر الدعوة هناك[2] حيث تتواجد قبائل بربرية معتنقة للمذهب ومنها لماية [1] ولواته [2] و نفزاوة [3].

و أصبحت تيهرت قوة النواة الإباضية وعرفت تطورا تم في أقل من ثلاثة سنوات فمن قرية صغيرة ريفية تقبل المساعدات المالية من وفد البصرة لتبني بها قوة تدافع بها عن نفسها إذا بها مدينة غنية عامرة .

هذا النمو شجع تدفق المهاجرين إليها وخاصة في أيام الامام أفلح بن عبد الوهاب انتقلت تاهرت إلى دور التضخم العمراني من كل النواحي فقدت مركزا زراعيا هاما و ملتقى تجاري دون شأن وهي أيضا مركز علمي وذات وزن سياسي وازدادت الأموال في أيدي الناس و تنافسوا في العمران وبلغت المدينة أقصى درجات الاتساع و الامتداد و أصبحت في عهد الامام أفلح ثلاث وحدات جديدة .

حي الأجناد المهاجرين من إفريقية والعدوة عبر نهر مينة التي بنتها نفوسة ومنطقة القصور

و الضياع و أكثرها في الضواحي حيث البساتين

[1] أبو ربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني : (ق 6 هـ / 12 م) مصدر سابق ص 23 .
[2] أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ص 9 .

وعلى ضوء هذه الوحدات الثلاث انقسم الاستيطان إلى ثلاث درجات :

1)الاستيطان الحضري : وشمل المدينة وسكانها على مختلف انتماءاتهم وهم أخلاط من الناس [1]

2)الاستيطان القبلي المستقر : وتمثله القبائل التي تحيط بالمدينة ومنها قبيلة لواته وزناته و مطماطة و هوارة [2] .

3)الاستيطان القبلي المتنقل : وتمثله القبائل التي تقصد تاهرت وضواحيها طلبا للكلأ في فصل الربيع مثل مزانة وسدراته [3].

واستمر هذا الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي المزدهر في تاهرت إلى سقوطها سنة 296 هـ – 909 م على يد أبي عبد الله الشيعي الذي قتل الإمام أبا اليقضان بعد أن خرج إليه مستسلما .

ومن العوامل التي عجلت بسقوط المدينة مساعدة دوسرا[4] بنت الإمام أبي حاتم بالإضافة إلى المعارضين للمذهب الإباضي كالمالكيةو الصفرية [5].

---

1 ابي زكرياء يحي : مصدر سابق ص 10.
2 البكري : مصدر سابق ص 67 .
3 نفسه ص 67 .
1 لماية : هي بطن من ولد فاتن بن تاصميت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبترو للماية بطون كثيرة منها مزيزة مليزه ابن خلدون مصدر سابق ج 2 ص 246 .
2 لواتة : بطن من بطون البربر البتر تنتسب إلى لوا الأصغر ومن بطونها سدرانة و مزاتة اغلب موطنهم بجبل اوراس ابن خلدون مصدر سابق ج 6 ص 235.
3 نفزاوة : اسم قبيلة تنتسب إلى يطوفت بن نفزاوة بن لوا الأكبر وبطونها كثيرة منها غساسة ومرنيست وزهيله
4 دوسرا : ابنة الإمام أبي حاتم الذي قتله أبو اليقضان وهي التي دعت أبا عبد الله الشيعي إلى تاهرت: معجم اعلام الاباضية مرجع سابق ج 2 ص 302
5 أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ج 1 ص 163 .

3- ورجلان :

بسقوط تاهرت على يد أبو عبد الله الشيعي خرج يعقوب بن أفلح [1] مع أهله وجمع غفير من التاهرتيين متجهين إلى وارجلان ولم تفلح ملاحقة رجال أبي عبد الله في القبض على يعقوب بن أفلح الذي تصدى لهذه الحملة .[2]

ولاتقاء شر هذه الحملة تحصن الاباضيون بجبل كريمة ورغم الحصار الطويل الذي فرضته حملة أبي عبد الله الشيعي بغرض تجويع المعاصرين وتركهم يموتون عطشا [3].

وتمكن الإباضيون من إفشال الحصار بعد اهتدائهم إلى حيلة مفادها تقديم الزيت في قصاع للجمال التي تمكن منها العطش ولما وجدته زيتا لفظته من أفواهها واعتقد المحاصرون أنهم يعطون الماء لجمالهم وتأكدوا من فشل الحصار فقرروا تخريب المدينة و الإستيلاء على ما بها من غنائم [4] .

أما الاباضيون فقد واصلوا طريقهم إلى وارجلان وسدراته واستقبل إمامهم يعقوب بن أفلح استقبالا حارا من الشيخ أبي صالح جنون يمريان القائم بشؤون وارجلان و أهل مدينته وكانت المدينة خلال هذه الفترة حاضرة من الحواضر الكبرى في الصحراء يدير شؤونها الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان بالإضافة إلى تعليم الناس و الانفاق على تلاميذه وعلى الفقراء وبصفة الشماخي في كتابة السير " كان عالما ورعا سخيا ذاكرا مات وهو أحد أقطاب الدين " [5]

---

1 أبو يوسف يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم 310 هـ / 922 م تولى شؤون وارجلان ساهم في ردها و الحركة العلمية فيها وكان أحد أقطاب الدين معجم اعلام الاباضية ج 2 ص 473 .
2 أبو زكرياء يحيى: سير الأئمة مصدر سابق ج 1 ص 124 .
3 نفسه ص 114 .
4 الدرجيني : مصدر سابق ج 1 ص 66 .
5 أبو العباس بدرالدين الشماخي : مصدر سابق ج 2 ص 362 .

ومن العوامل التي جعلت وارجلان مأوى للاباضية بعد سقوط الدولة الرستمية كونها أكثر المناطق أمنا ومن جهة أخرى فإن أبا صالح جنون بن يمريان شخصية كرست حياتها لخدمة العلم و العلماء وكان له مسجد يجتمع فيه أبو نوح سعيد بن زنغيل مع أهل وارجلان ليسألونه وذلك قبل عودته إلى افريقية لذلك طلب منه أبو صالح جنون البقاء في وارجلان مقابل أن يقاسمه ماله [1] ولا شك أن تلك الجهود أثمرت في ازدهار الحركة العلمية .

ولم يقتصر الوجود الاباضي بعد سقوط تيهرت في ورجلان فقط بل إمتد إلى منطقة الزاب [2] وجبل اوراس [3].

4- جربة : جزيرة مجاورة لليابسة كلها منبسطة رملية يعيش سكانها في مداشر متفرقة المنازل ويذكر التجاني في الرحلة أن أهل جربة ينقسمون إلى فريقين : فرقة تعرف بالوهبية يسكنون الجهة الغربية من الجزيرة وفرقة تعرف بالنكارة ويسكنون الجهة الشرقية منها [4]. وحسب التجاني فإن كلا الفرقتين من الخوارج الغلاة الذين يكفرون العصاة ولا يماسحون ثيابهم ثياب أحد ممّن ليس على مذهبهم و لا يواكلونه في آنية [5].

1 أبو زكرياء يحيى : مصدر سابق ص 123 .
2 الزاب : هي بلاد على طرف الصحراء من بلاد الجريد من أهم مدنها طبنه وباغايه : مؤلف مجهول .
3 هو جبل في المغرب الأوسط به مدن كثيرة تسكنها قبائل هواره ومكناسة ومعضمهم إباضية .
4 حسن بن محمد الوزان : مصدر سابق ج 2 ص 93 .
5 نفسه ص 94 .

و الحقيقة أن الإباضية في جربة كانوا من الوهبية و كان أول من نزل بالجزيرة منهم أبو ميسور يسجي بن يوجين اليراسني [1] وتذكر المصادر أنه كان كريما يصنع الطعام ليقدمه للناس ليدعوهم إلى الوهبية حتى لا يبق أحد على مذهب النكار كما أنه بنى مسجدا يُعرف بـ : بني يراسن ومات قبل أن يتمه فأتمه ابنه .

وتتلمذ على يده عدد من التلاميذ وكان يتكفل بإطعامهم [2].

وحسب رواية ابن خلدون فإن الإمام الاباضي اسماعيل بن زياد النفوسي فتح قابس سنة 132 هـ / 750 م, ويذكر المرزوقي أن الإباضية دخلوا جربة في نفس الفترة كونها قريبة من قابس [3] .

وعندما تأسست أول دولة إباضية في عهد أبي الخطاب إمتدت سيطرة هذا الأخير إلى قابس وجربة سنة 142 هـ 760 م ونجح في السيطرة على كامل أرجاء طرابلس بما فيها الجريد [4].

وفي العهد الرستمي أصبحت الجزيرة تابعة جغرافيا لمنطقة الجريد أما إداريا تتبع إلى جبل نفوسة .

وظل الأمر على هذا المنوال إلى سقوط الدولة الرستمية حيث تعرضت منطقة الجريد للتخريب و التدمير مثلما تعرضت له تاهرت [5] و الهدف من ذلك إضعاف التجمعات الإباضية حيتما وُجدت

1 أول مشايخ الطبقة السابعة تعلم بجبل نفوسة تكفل به أهل الجبل بسبب فقرة ولما عادا إلى جربة أصبح عميد القوم وفقيههم .
أبو زكرياء : مصدر سابق ص 239 – 240 .
الدرجيني : مصدر سابق ج 1 ص 157 – 159 .
2 الدرجيني : مصدر سابق ج 2 ص 338 .
3 المرزوقي أبو راس : مؤنس الأحبة في أخبار جربة المطبعة الرسمية ، تونس 1960 ص 45 .
4 المرزوقي (أبو راس) : مصدر سابق ص 45 .
5 ابن خلدون (عبد الرحمن) : مصدر سابق ج 1 ص 144 .

أما جربة فلم يظهر اهتمام الفاطميين بها إلا في سنة 311 هـ / 943 م حيث قام علي سليمان الداعي بحملة لبسط النفوذ الفاطمي على الجزيرة إلا أن الحملة فشلت بعدما تمكن النكار من قتل عاملها الغلديني و بالتالي أعادوا السيطرة عليها ونشروا بها مبادئهم المتطرفة, لكن المنصور الفاطمي نجح في استعادتها وقتل من وجد فيها من نكار[1].

ورغم قيام ثورة أبي يزيد النكاري وثورة أبي خزر من الاباضية الوهبية لبعث امامة الظهور من جديد إلا أنهما ساهمتا في التعجيل برحيل الفاطميين إلى المشرق .[2]

المبحث الثاني: أهداف التربية عند الإباضية ومظاهر العناية بها

1- التربية عند الإباضية :

مفهوم التربية :

التربية لغة : ربا يربو بمعنى زاد ونما وربا [3] وفي القرآن الكريم وردت في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]

وجاء في لسان العرب لابن منظور ربّ الشيء اذا اصلحه, ربّ ولده الصبي يربه ربا وربه تربيبا بمعنى رباه واحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية .[5]

1 ابن خلدون عبد الرحمان : مصدر سابق ج 6 ص 848 .
2 باجيه صالح : مرجع سابق ص 125 .
3 المنجد في اللغة و الاعلام : المطبعة الكاثوليكية ، دار الشرق ، بيروت 1973 م ، ص 938 .
4 الآية 39 سورة فصلت .
5 ابو الفضل جمال الدين بن محمد بم مكرم ابن منظور الافريقي المصري : لسان العرب ط 8 ، مج 6 ، دار صادر بيروت ص 70.

واصطلاحا : عرفها البعض بحسن السلوك و التفكير الصحيح و الحصول على معرفة كافية بالناس و الأشياء وحفظ الجسم بصورة قوية سليمة .

إذا فهي إجمالا اعداد الانسان للحياة إعدادا يتناول بدنه وعقله وروحه [1]

ومصطلح التربية حديث الوضع في لغتنا بهذا المعنى ولهذا نجد المؤلفين و الباحثين في هذا العصر لا يستغنون بها عن العلم فمعظمهم يقولون التربية و التعليم عندما يريدون الإشارة إلى مجموع ما تدل عليه هاتان الكلمتان لأن التربية فيها معنى الثقافة بينما التعليم فيه معنى إيصال المعرفة وتلقينها [2].

ويعرفها ابن مذكور بأنها عملية متشعبة ذات نظم و أساليب متكاملة نابعة من التصور الإسلامي للكون و الانسان و الحياة تهدف إلى تربية الانسان و إيصاله شيئا فشيئا إلى درجة الكمال التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله وتتم عن طريق التعليم و التعلم [3].

ومن خلال ما تقدم يتضح أهمية وقيمة التربية في تطور المجتمعات وتنميتها وزيادة قدراتها الذاتية على مواجهة التحديات الحضارية التي تواجهها وضرورة للتماسك الاجتماعي واستمرار المجتمع وبقائه عن طريق نقل ميراثه للأجيال و إعدادها وتوجيهها [4] .

1 عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط 2 ، 1979 ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت

2 عبد اللطيف الطيباوي : مرجع سابق ص 17 .

3 كمال عبد الله ، عبد الله قلي : مدخل إلى علوم التربية الارسال 2 ، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب و العلوم الانسانية ، بوزريعة ،الديوان الوطني للتعليم و التكوين عن بعد ، د ط ، 2006 ص 20 .

4 تركي رابح : مناهج البحث في علوم التربية و علم النفس د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 31 .

التربية عند الإباضية :

تعد الدولة الرستمية أول من وضع قواعد النظام التربوي الإباضي في المغرب الإسلامي حيث ظهرت بجلاء أهدافه ووسائله [1].

فكانت أهم مراكزه الأولى في مدينة تاهرت التي اصبحت مركز إشعاع علمي و أدبي (فكري) تحرص على استقبال العلماء على اختلاف مشاربهم وعقائدهم طيلة عهدها وكانت تعقد

في مجالسها المناظرات العلمية و حلقات العلم [2] .

وتولى هذا العمل شيوخ مختصون لهم باع في هذا المجال وهم بدورهم تلقوا العلم ممن سبقوهم و بالنظر إلى طبيعة المذهب الإباضي فالأهداف التربوية تختلف حسب متطلبات المرحلة ويجب ان نفرق بين الاهداف الكبرى والاهداف والصغيرة او الثانوية للمذهب الاباضي, فالاولى ثابتة في مرحلتي الظهور والكتمان اما الثانية متغيرة من حيث الاهداف والوسائل حسب طبيعة المسلك فمثلا في مرحلة كتمان يكون تكوين حملة العلم هدفا اساسيا ويبقى النشاط التربوي قائما على استقطاب الطاقات القادرة على القيام بهذه المهمة و إرسال البعثات, أما في مرحلة الظهور يصبح الهدف إنشاء المجتمعات الإباضية المتماسكة و التي تتأقلم مع الظروف السائدة وتصمد أمام كل التحديات [3]

1 حجازي عثمان : تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي من القرن الاول حتى القرن العاشر(95 هـ - 928 هـ ، 713 م – 1520 م) المكتبة العصرية صيدا ، بيروت 1421 – 2000 م .
2 ابن المالكي : مصدر سابق ص 82 .
3 أحمد حافظ : التربية عند الإباضية مقال موجود بمكتبة صالح العلي بيني يرفق ص 395 .

أهداف التربية

الأهداف التربوية لا نجدها منفصلة عن العمل التربوي ولو في أبسط صورة كتنشئة الآباء للأبناء من أجل إعدادهم للحياة وما تتطلبه من خصائص مهارية في شتى مجالات البيئة ومعطياتها . وللإرتباط الوثيق بين التربية و الأسرة بالدرجة الأولى وسائر مؤسسات المجتمع بدرجة ثانية فلهذا تختلف أهداف التربية من مجتمع لآخر ومن عصر إلى عصر [1].

فهدف التربية عند اليونان في العصور القديمة مثلا كان هدفها الأسمى تكوين الفرد ليكون محاربا أو فيلسوفا وهدف التربية المسيحية تنشئة الفرد ليكون راهبا متعبدا .

أما التربية عند المسلمين فلا تقتصر على الجانب الديني وحده ولا على الجانب الدنيوي وحده بل كانت تجمع أو تلائم بين الدين و الدنيا و كانت تهدف إلى إعداد النشء للحياة الدنيا و الآخرة معا في إطار [2] الآية الكريمة ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾القصص: ٧٧ وعموما فإن أهداف التربية عند الاباضيين لا تخرج عن هذا الإطار باعتبارها إحدى الفرق الإسلامية ومن أهم الأهداف التي يمكن استخلاصها :

1) تثبيت المذهب والفقه الإباضي

حرص الإباضيون على تثبيت العقيدة الإباضية في اتباعهم من خلال تدريس مذهبها ونشر أرائها الفقهية وما انتشار حلقات العلم في الدولة الرستمية مابين فزان وقابس وتاهرت وجبل نفوسة إلا

1 كمال عبد الله ، عبد الله قلي : مرجع سابق ص 12
2 نفسه ص 102

دليل على ذلك [1] وارتكزت المحتويات الدراسية على أسس منها : أن الإمامة الإباضية هي الشرعية و أن عليا كرم الله وجهه تنازل عنها بقبوله التحكيم ومن ثم فإن من حقهم أن يختاروا لأنفسهم إماما، أما خلافة معاوية فيرونها غير شرعية كونها تحولت إلى نظام ملكي وراثي [2].

لا شك أن كل حركة تسعى إلى تثبيت مذهبها وغرسه في نفوس الناشئة وذلك بإبراز مزاياه وانتقاد غيره وعلى هذا الأساس حرصت المحتويات الدراسية للمذهب على عدة أسس لتحقيق هدفها منها أن الإمامة الإباضية هي الشرعية و أن عليا بقبوله التحكيم قد تنازل عن الخلافة و بالتالي لهم الحق أن يختاروا غيره إما خلافة معاوية بن أبي سفيان فهي ملك عضوض وراثي و أن الإباضية هي أصح العقائد و خاصة في تنزيه الله عز وجل وقضية خلق القرآن و كلمات الإيمان و الإسلام و الشرك و الكفر و النفاق و قضية الوعد و الوعيد [3].

2) التربية للنضال المسلح

جمعت الإباضية بين الترسيخ في الناشئة بين العقيدة و الفقه الاباضيين وبين التربية العسكرية التي ترتكز على الفروسية وتنمية القدرات القتالية [4].

ويعود ذلك إلى الظروف السياسية الصعبة المحيطة بالإباضيين سواء في مرحلة الظهور

1 مزهودي مسعود : الإباضية في المغرب الأوسط ، سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال ، رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة 1982 ص 125 .
بحاز ابراهيم : مرجع سابق ص 175 – 182
البغطوري مقرين : مصدر سابق ص 51 / 100
2 الباروني أبو ربيع ، مختصر تاريخ الاباضية ، ط2 ، تونس 1938 م ص 14 -15
3 مزهودي مسعود : الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 1982 .
بحاز ابراهيم : مرجع سابق ، ص 175 – 182 .
4 شعباني صلاح الدين : مرجع سابق ص 55 .

أو الكتمان و الدليل على ذلك أن حمله العلم الخمس كانوا يجمعون بين السيف و العلم فأبو الخطاب كان قائدا عسكريا [1] وكذلك الأمر بالنسبة لعبد الرحمان ابن رستم الذي قاد جيشا لمساعدة أبي الخطاب في معركة تاورغا سنة 144 هـ/ 761 م [2].

ويبدأ هذا النوع من التربية مع أطفال الكتاتيب ولم تكن تمضي السنوات الأولى من التعليم حتى يكون الأطفال اكتسبوا المهارات و القدرات الخاصة بالفروسية و في آن واحد يكونون قد تشربوا بالعقيدة الإباضية وترسخ في نفوسهم حب الذود عنها و الاستشهاد في سبيلها .

ومن خلال رواية أبي عمر عن أحداث وقعة باغاي فقال في هذا الصدد " أدركت الواح التلاميذ الذين يتعلمون العلم ويتعلمون الفروسية بفحص مسجد ابي خزر" .

والرواية الثانية ما قاله أبو خزر بعد الهزيمة في هذه الوقعة "كأننا عجلنا بالتلامذة فاستقتلناهم [3] ومما تجدر الإشارة إليه أن التربية العسكرية ليست مادة مدرجة في جدول الدراسة ويتخصص لها معلمون مؤهلون لكنها نشاطات يتدرب عليها الصغار بإشراف الكبار وحضورهم [4].

3) التربية العملية

لا تقتصر التربية على المجال العسكري و العلمي فحسب بل تتعدد إلى الجانب العملي لأن في العقيدة الإباضية العمل جزء من الإيمان و الإيمان علم وعمل كما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف قوله" تعلموا ما شئتم أن تعلموا, فلن يأجركم الله حتى تعملوا"[5]

1 الباروني أبو الربيع : مختصر تاريخ الاباضية ط 2 ، تونس 1983 م ، ص 33 .
2 معجم إعلام الإباضية ج 2 ص 274 .
3 أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ج1 ص 203 – 206 .
4 شعبالي صلاح الدين : مرجع سابق ص 57 .
5 أحمد حافظ : مرجع سابق ص 575

ولا يقتصر العمل على الجانب العقائدي فقط بل شمل ايضا العمل الانتاجي خصوصا أن المجتمعات الاباضية عاشت ظروف حياتية خشنة متقلبة شبه مغلقة على نفسها مما تتطلب منهم الجمع بين التدين و العمل وكان كل فرد إباضي في سن التعليم أو العمل يجيد عددا من المهارات اليدوية اللازمة في أعمال الزراعة و الأشغال الحرفية من غزل ونسج وفخار ودباغة الجلود وبناء المساكن ....

وكان التنظيم الدراسي يسمح في أوقات حرة باكتساب أو استثمار هذه المهارات حيث يعتمد الفرد على نفسه في الكسب و العيش

4) التربية لتخريج الصفوة :

لضمان استمرارية الحياة حرص الإباضيون على التجديد الدائم و المتواصل و لا يتأتى تحقيق هذه الغاية إلا بالاهتمام بالصفوة أو النخبة المتميزة باعتبارها هي التي توكل لها المهام الكبرى في المجتمع .

ففي المرحلة الأولى من الدراسة يكون التعليم و التكوين شاملا للجميع و في المراحل المتقدمة و العليا فلم يكن يستقبل سوى الناجحين من أصحاب القدرة العقلية الذين تجاوزوا بنجاح مستويات التعليم الأولى وأُثبتوا حسن سيرتهم ونبوغهم ومهاراتهم العالية ومواهبهم الفدة .[1]

فحملة العلم الخمسة من الدعاة الإباضيين يتم اختيارهم بعناية كبيرة ثم يرسلون إلى البصرة لتلقي تكوينا خاصا بمدرسة أبي عبيدة مدته خمس سنوات يتعلمون فيها تعاليم المذهب ويتدربون

التربية عند الأباضية . مقال موجود بمكتبه صالح العلي ببني يزقن ، ص 395 .
1 شعباني صلاح الدين : مرجع سابق ص 61 .

على فن القيادة,فكانوا بذلك ناشرين للمذهب وعلمائه والمدافعين عنه و المؤسسين للدولة وقادة للجيوش حسب تخصص كل منهم [1].

ومن الأمثلة على تكوين الصفوة, خبر الأربعة الذين بعثت بهم نفوسه بدلا من الجيش الذي طلبه الامام عبد الوهاب لمناظرة الواصلية,فكان مهدي النفوسي بدلا من 100 من المتكلمين ومحمد بن يانس بدلا من 100 من المفسرين و أبو الحسن الأيدلاني بدلا من 100 من الفقهاء و أيوب بن العباس بدلا من 100 فارس [2].

وكذلك إرسال والي قنطرارة أبو يونس وسيم ابنيه سعد ونفات بن نصر يتعلمان عند الامام أفلح رغم كثرة العلماء بجبل نفوسة ومنطقة الجريد, ولما أكملا تعليمهما أراد الإمام أن يستعمل قنطرارة وجد سعد أصلح لأمور المسلمين و لأمور الدين أحسن [3] وهو ما أغضب نفاتا الذي يرى أنه أعلم من سعد [4] .

ومن خلال ما تقدم ذكره يتبين أن التعليم الذي تلقاه سعد ونفاتا عند الإمام كان خاصا هدفه تأهيلهم للولاية لوجود في الجبل من هو أكثر منهما علما و أكبر سنا .

التربية للتثقيف العام :

من بين أهداف التربية عند الإباضية اكتساب الأتباع واجتذابهم في مرحلة التأسيس أما في مرحلة الظهور فالهدف إقامة مجتمع متجانس دور ثقافة دينية ومن هذا المنطلق حرص الإباضيون سواء

1 حجازي عبد الرحمان ص ص 82-84 .
[2] أبو زكرياء يحي: مصدر سابق ص ص 104 – 106 .
[3] نفسه ص ص 102 -103 .
[4] نفسه ص 183 .

في مرحلة الظهور أو الكتمان على اشراك المجتمع بكل فئاته عن طريق المساجد أو في الساحات العامة [1].

وكان للفقهاء أيضا مجالس للوعظ و الإرشاد وتفقيه وتفسير وسير يحضرها الرجال و النساء ولم يقتصر التثقيف على الحواضر فقط بل إمتد إلى البوادي وقد وُجدت في البوادي نوع من المدارس المتنقلة يشرف عليها معلمون متفرغون [2].

وكان من بين شيوخ العلم من يخرج للبحث عن الراغبين في التعليم شعارهم في ذلك زكاة العلم نشره[3] .

والعلم لا يقتصر على الذكور فقط بل شمل الإناث, فكان الآباء يطلعن بهذه المهمة مع بناتهن والأزواج مع زوجاتهن وحتى الاماء نلن حضهن من العلم و في هذا الصدد قال أحد الأئمة الرستميين " معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر [4].

ولم يكن الغرض من تعليم المرأة اعدادها لتحمل اعباء الحياة أو الوظائف السياسية لأن الاباضية يرون حرمة العمل السياسي للمرأة، بل الغرض منه خدمة المجتمع تربويا وعلميا [5] .

و خدمة الجانب الاجتماعي و العلمي في البيت وليس بغرض إعدادها لتحمل أعباء الحكم أو الوظائف السياسية لأن ذلك في نظرهم محرما على المرأة .[6]

---

[1] أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ج 1 ص 103 .
[2] شعباني صلاح الدين : مرجع سابق ص 56 .
[3] نفسه ص 62 .
[4] أبو زكرياء يحي : مصدر سابق ص 103 .
[5] شعباني صلاح الدين : مرجع سابق ص 63 .
[6] واعلي بكير : مرجع سابق ج 2 ص 448 – 449

1- مظاهر العناية بتربية الناشئة في مرحلة الظهور والكتمان

1 المؤسسات التربوية

لم تختلف عما كانت عليه في تلك المرحلة سواء في المشرق او المغرب الاسلامي رغم وجود بعض الخصوصيات طبقا لكل مجتمع

وتأتي في طليعة هذه المؤسسات المساجد والتي تعود في نشأتها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وطيلة القرون الثلاثة الاولى، أما المدارس فيعود ظهورها الى ما بعد القرن الرابع الهجري ولم تكن معروفة في عهد الصحابة والتابعين وظهرت بعد الأربعمئة من الهجرة ومن اهم المؤسسات التربوية والتعليمية عند الاباضية في مرحلتي الظهور والكتمان :

أ– المسجد : يعتبر أقدم المؤسسات وكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مقرا للعبادة ومهدا للتعليم ومجلسا للشورى وكانت المجتمعات الاسلامية في هذه الفترة تتخذ منه وملتقى لأمورها الدينية والدنيوية والمجتمع الاباضي كغيره من المجتمعات الاسلامية لم يشد عن هذه القاعدة، وبعد انتخاب عبد الرحمان بن رستم شرع في اختيار المكان لتأسيس المدينة وتزامن ذلك مع اختيار مكانا لبناء المسجد فبنوا الجامع ثم شرعوا بعد ذلك في بناء الدور والقصور وكان للمسجد دور كبيرا في الحركة التربوية ومن خلاله مارس العلماء عملية التوجيه الاجتماعي والتربوي والعلمي فضلا عن دوره القضائي والسياسي .

وكان العلماء يجلسون عند أحد الأعمدة بالمجلس ويتحلق الطلاب حولهم ليقوموا بتدريس العلوم الدينية والنحو واللغة ، وذكر ابو زكرياء في هذا الصدد ان أفلح بن عبد الوهاب كانت له اربع

حلقات للتدريس واشار كذلك ابن الصغير أن الامام ابي اليقضان كانت له سارية بالمسجد يجلس اليها غيره

ب– المدرسة: لم يعرف المجتمع الاباضي المدارس المتخصصة على غرار بغداد والقاهرة وانما استعمل اللفظ للدلالة عن مكان التعليم بصفة عامة فالمسجد والحلقة والبيت كل ذلك يعد مدرسة وتتميز المدرسة الاباضية بأبعاد ثلاثة : البعد الاول يتمثل في الهياكل و المساجد و المصليات و الدور، أما البعد الثاني فيتمثل في التعليم الخاص و العام الذي يتم في هده الهياكل، أما الثالث فيتمثل في الحركة التي يقوم بها العلماء والمربون والمشايخ

وبناءا على تقدم فان المدرسة عند الإباضية لها مفهوم واسع يتعدى مفهوم المدرسة الحديثة.

وفي ما يخص المواد التي تدرس والمناهج الدراسية تختلف باختلاف الأشخاص الذين يكونونها او يديرونها .فالمدارس الأولى التي أنشئت تميزت بالبساطة، وكان الدافع الى انشائها نصرة المذهب ونشر تعاليمه ، أما المدارس التي أنشأها حمله العلم فكانت أكثر تنظيما و نجاحا لان اصحابها تلقوا تكوينا خاصا ونظموها على شاكلة حلقة ابي عبيدة بالبصرة ومن اهم المدارس مدرسة ابي المنيب محمد بن يانس و ابي عثمان سعد بن يونس الطمزيني ، وكانت المدرسة الاولى بجبل نفوسة ولها فروع عديدة في المدن و القرى المجاورة للجبل ومن اشهر العلماء الذين تخرجوا منها ابو خليل صال الدركلي و عمرو بن يانس اما الثانية فكانت في قرية طمزين و كان لها فرع في مدينة تيجي إشتهر منها سحنون بن أيوب و عن اهداف الاهتمام بإنشاء هذه المدراس الى جانب نشر تعاليم المذهب فهى الرد على الرسائل الفكرية المتعددة للمخالفين بالحجة و البراهين اما الهدف الثاني مواجهة مؤسسات المخالفين وتقليص نفوذهم في

مختلف الأقاليم ، أما الهدف الثالث فيتمثل في إيجاد طائفة من الموظفين الإباضيين ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة في مجال القضاء و الإدارة.

د – الكتاتيب

الكتاب : الكتاب موضع تعليم الكتاب و جمعها كتاب و مكاتب ويعرف الكتاب بانه مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة و الكتابة وتسمى ايضا دار القران و الكتاتيب ملحقة بالمدراس و لكنها مفصولة عنها بجدار حتى لا يدخل الصبيان وعن اسباب فصل الكتاب عن المسجد فان ذلك يرجع الى سببين : الاول بغرض المحافظة على طهارة المسجد لكون الصبيان لايحترزون من النجاسة اما العامل الثاني يتمثل في تخصصه بتدريس العلوم الدينية.وكانت طريقة التدريس في الكتاتيب تقليدية

تعتمد على الكتابة و الحفظ و العرض تم المحو ولم يكن استعمال الورق في الكتاتيب ممكنا لنذرته و غلائه من جهه و عدم ملائمتة مع طريقة التلقين

وكانت نفقة التعليم بالكتاب يتحملها المجتمع و تكون على شكل هبات و صدقات من الاولياء و لا يتقاضى المعلمون اجورا لان المذهب الاباضي يحرم ذلك في مرحلة الظهور اما في مسلك الكتمان فيجوز للمعلم تقاضي اجرا لان عدم دفعه يؤدي الى ترك التعليم و يصبح الناس اميين .

2 – مجانية التعليم

من مظاهر العناية بتربية الناشئة مجانية التعليم اذ يتم الانفاق على التلاميذ من اموال التبرعات و الزكاة و الحبوس و الاوقاف ومن الامثلة على ذلك تبرع احد شيوخ الاباضية يدعي ابا باديس (عاش في القرن 4 هـ) تبرع بثلاثمئه بقرة للعزابة وكان الشيوخ الميسورو الحال ينفقون من

مالهم الخاص على تلاميذتهم كعبد الله بن سليمان النفوسي فكان يعلم التلاميذ و يطعمهم و يكسوهم من خالص ماله ماذا اقبل الشتاء اشترى اهم اكسية جديدة فيها دفا واذا اقبل الصيف اشترى لهم ما يخفف

وكان المشرفون على التعليم اي العرفاء ينالون جزاء من المال كأجر لهم ليستمروا في التعليم

المعلمون و المتعلمون :

يولي الاباضيون اهتماما بالغا للتربية و التعليم لذلك و ضعوا شروط لمن يتولى هذه المهمة او يقبل عليها

أ–المعلمون : يقوم بتعينهم شيخ العزابة و يرعى في اختيارهم شروط هي :

1– ان يكون المعلم عاملا بعلمه فيجب عليه ان يعمل بما يعلم ولا يقول ما لا يفعل ففي حالات عدم تطابق فعل العالم بقوله تسقط حكمته و يمتنع الناس عن قبولها .

2– الشفقة على المتعلمين و اعتبارهم ابنائه فيقدم لهم النصح و يرفق بهم و يساعدهم

3– ينبغي على المعلم ان يكون ملما بمختلف العلوم و ان لا يقبّح في نفس المتعلم مالم يحط به من العلوم وان لا يرجح أحد على أحد من تلاميذه

4–ان يعلم تلاميده الادب قبل كل شيئ ويقول ابو عمار "..ادا تعلم الادب فكلما تعلم العلم نفعه و ادا لم يتعلموا الادب فلا ينفعه علم ولا ورع وجاءه الجهل من كل جانب ومكان

وينقسم المعلمون الى قسمين :

أ–المعلمون القارون وهم الذين يشرفون على حلقات المسجد وهدفها محصور في الجانب التعليمي و التربوي

ب– معلمون متنقلون و يكون الهدف في هذه الحالة اشمل واوسع يتسع الى الجانب السياسي و الديني و الثقافي و لهذا كانت تعقد في اماكن متعددة كالبيوت و السرد ايب و ظلال الاشجار يعيدا عن الرقابة و يتولي هذا النوع من التعليم المشايخ ومن خلال ما تقدم يتضح جليا ان التعليم عند الاباضية مرتبط بالتربية اذا انهم راعوا في شروط المعلم الى جانب الكفاءة العلمية الاخلاق لقداسة المعلم بالنسبة للمتعلم مما يجعل المتعلم يقتدي بسلوك معلمه ايجابا او سلبا

ب–المتعلمون:

لقبول المتعلم في حلقات العلم شروط يجب توفرها فيه منها

– الاجتهاد والصبر والتواضع والرغبة

– العقل لا دراك حقائق الامور و الفطنة و الذكاء مما يجعله يدرك حقائق الامور ويتصور غوامض العلوم

– أن يكون تعلمه إبتغاء مرضات الله تعالى.

و ينقسم الطلبة الى اربع اقسام :طلبة تعليم القران وهم صغار الطلبة ويدرسون القران ويتعلمون الخط والكتابة ورسم القران وفقه الصلاة والحساب

أما طلبة العلوم فيدرسون الفقه واصوله والتوحيد والتفسير والحديث والميراث والعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ومنطق وحساب أما طلبة الكتب فهم الدين نبغوا في الدراسة ويفتح لهم المجال للمناقشة والمحاورة مع المشايخ الذين يشرفون على تكوينهم والى جانب العلوم التي يعنى بتدريسها كما اسلفنا الذكر يدرّس علم القيادة و السياسة.

ومن مظاهر العناية بتربية الناشئة مجانية التعليم اذ يتم الانفاق على التلاميذ من أموال التبرعات والزكاة والاوقاف .

ومن الامثلة على ذلك تبرع أحد شيوخ الاباضية يدعى أبا باديس (عاش في القرن 4 هـ-10م) بثلاثمئة بقرة للعزابة

وكان الشيوخ الميسورو الحال ينفقون من مالهم الخاص على التلاميذ كعبد الله بن سليمان النفوسي فكان يعلم تلاميذ ويطعمهم ويكسوهم من خالص ماله فاذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسيه جديده فيها دفئ واذا أقبل الصيف اشترى لهم أكسيه خفيفة .

ثانيا في مرحلة الكتمان:

1 - المساجد والمصليات

بعد سقوط الدولة الرستمية ركن الاباضيون الى الكتمان وفضلوا المناطق النائية لكي لا يثيروا مخاوف أعدائهم معتمدين على بناء المساجد التي تضاعف بناءها في مرحلة الكتمان ومن أشهر هذه المساجد المسجد الذي كان الامام عبد الوهاب يلقي به دروسه للعامة بميري ومساجد ابي المنيب السبعة التي كان بعضها بالجبل وبعضها بالسهل ومنها المسجد الكبير الذي بناه ابو محمد ترواس بن يوسف عام 441هـ/1049م في جبل دمر الذي يقع غرب جبل نفوسة.

أما في سدراته فأهم المساجد مسجد الشيخ صالح بن حنون بن يمريان ويذكر أبو زكرياء أن هذا المسجد تعرض للحرق من طرف المعز في هجومه على ورجلان

وحسب رواية الدرجيني فان هذا المسجد اعيد بناؤه ويستدل بذلك باتجاه مقر لحلقة سعيد بن زنغيل ومن المساجد ايضا مسجد لاله عزة اما بميزاب فاشتهر مسجد بايحمد بن سليمان بن نوح بقصر

مليكة وقامت هذه المساجد بوظائفها التربوية في مرحلة الكتمان فكانت مقرا لاجتماعات شيوخ المذهب ومنبرا تقدم من خلاله دروس الوعظ والإرشاد و التوجيه الاجتماعي كما كان معهدا للدرس و التحصيل وتستغل ساحاتها مراكز للتدريب العسكري كما هو الحال بمسجد ابي القاسم و ابي خزر بافريقية.

2- الحلقات : كان مقرها المسجد خلال مرحلة الظهور وفي مرحلة الكتمان عددت أماكنها فكانت تعقد في المساجد و البيوت و المغارات ومن أشهر هذه الحلقات حلقة ابي القاسم البغطوري وابي الخير الونزيفي بجبل نفوسه

وحلقة ابي صالح جنون بوارجلان في أوائل القرن العاشر ميلادي وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي اشهر حلقه ابي نوح المدوني اما في أريغ نجد حلقه ابي زكرياء يحي بن ويحمن الهواري

واشتهرت بافريقية وجربة حلقه سليمان بن زرقون النفوسي في النصف الاول من القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي وفي النصف الثاني من نفس القرن نجد حلقة ابي محمد ويسلان المزاتي أما في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي فاشتهرت حلقة ابو محمد بن مانوح الهواري وكانت حلقه ثابته ومنها حلقة ابي عمران الزمريني بقسطاليا وحلقة ابي زكرياء فضيل بن ابي ميسور الذي واصل عمل ابيه بالمسجد الكبير بجربة .

ب – المكتبات اعتنى المسلمون بالكتب مند وقت مبكر لكونها وسيلة هامة لنشر العلم و المعرفة بالإسلام ومن اهم مظاهر هذه العناية بيت الحكمة الذي انشاه الخليفة هارون الرشيد في بغداد سنة 185 هـ /801 م ودعمة ابنة المامون بدار الحكمة بالقاهرة و كان افتتاحها في حدود سنة

395 هـ / 1005م وانتشرت خزائن الكتب في ربوع العالم الاسلامي في مشرقه و مغربه ففي المغرب الاسلامي انتشرت خزائن الكتب على مر العهود التاريخية و اكتسبت المكتبات اهمية بالغة في المجتمعات الاباضية لاحتوائها كتب المذاهب بالدرجة الاولى و الكتب العلمية بالدرجة الثانية ، ومن اشهر المكتبات مكتبة المعصومة بتاهرت لغناها بالكتب وقد بلغ تعداد كتبها بحوالى ثلاث مئة الف مجلدا و يذكر انها تعرضت للحرق عند هجوم ابو عبد الله الشيعي على تاهرت سنة 296 هـ /909 م جمعت هذه المكتبة بين الكتب الدينية و الدنيوية .

ومن المكتبات الهامة ايضا مكتبة خزانة نفوسة وتوجد بمدينة شروس بجبل نفوسة واحتوت على الالف الكتب المتخصصة في العقيدة و الفقه وعلم الكلام الاباضى

وتعتبر هذه المكتبات التابعة للدولة الرستمية و توجد مكتبات خاصة ملك للعلماء و المشايخ وتميزت هذه المكتبات بثراء محتوياتها من كتب العلوم والصنائع ويعود الفضل في ذالك الى ائمة الدولة الرستمية مثل الامام عبد الوهاب بن رستم فقد بعث بألف دينار الى البصر ليشتروا له كتبا كما يعود الفضل ايضا الى حركة التأليف فكانت معظم الكتب من تأليف علماء المذهب

وعلى رأسهم ائمة الدولة الرستمية بالإضافة الى الرسائل التي كان يبعث بها علماء المشرق في شتى المسائل في الحكم و السياسة والفقه والعقيدة ومن اهمها اجوبة الامام ابي عبيدة على مسائل فقهية لأهل المغرب ، كما ان زيارات اهل المشرق الى المغرب واللقاءات في مواسم الحج كانت بمثابة تبادل للأفكار ، ولاشك ان ذلك ساهم بقسط وافر في اثراء المؤلفات الاباضية في مختلف اصناف العلوم .

2 – العزابة : نشأتها ومهامها

مفهومها لغة واصطلاحا

1– لغة :جاء في لسان العرب لابن منظور عزب يعزب ، عزوبا من العزوب ويقال امراة عزبة ورجل عزب لا زوج لها وله و الجمع أعزاب و العزاب الذين لا زوج لهم .

أما الدرجيني فيضيف " ... وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه " .

ومن خلال ما تقدم فإن مدلول الكلمة الزهد في الدنيا وملذاتها ومفاتنها و التوجه و الاقبال على الآخرة .

2 – **المعنى الاصطلاحي :**

هناك عدة تعاريف لهذه الكلمة منها ما أورده الدرجيني وتعني عنده لزوم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير و المحافظة عليها و العمل بها وعزب عن حياة الدنيا أي بَعُد عنها .

ويعرفها يحي معمر في قوله " العزابة هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا تقوم بالإشراف على شؤون المجتمع الإباضي .

نشأة نظام العزابة :

نظرا لما أحاط بالإباضيين من نكسات في بلاد المغرب فكروا في إيجاد بديل يسمح لهم بالحفاظ على مذهبهم ويقيهم شر الأعداء وكانت تجربتهم الأولى إمامه الظهور وهي آخر مراحل الامامة لكنهم فشلوا في تحقيقها لسقوط دولة أبي الخطاب التي قامت في طرابلس و افريقية .وعادوا بعد ذلك إلى مرحلة الكتمان التي استمرت إلى قيام الدولة الرستمية 160 هـ / 776 م ونجم عن ذلك العودة مرة أخرى إلى إمامه الظهور لتستمر إلى سنة 909 م وهو

تاريخ تعرض الدول الرستمية للغزو الشيعي الذي استولى على ملكها وقتل العديد من أئمتها ومشايخها .

وفشلت ثوراتهم في استيراد ملكهم وإعادة إقامة الدولة لذلك اهتدى أحد شيوخهم إلى إيجاد نظام جديد يحل محل الامامة أو الدولة ليحافظ على كيانهم ومذهبهم من جهة ويلم شملهم من جهة أخرى فابتكروا نظام العزابة .

ليحل محل الدولة الغائبة ومعنى ذلك أن هذا النظام هو الذي يشرف على المجتمع الإباضي في مختلف شؤون الحياة ذلك أن العزابي يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء و المساكين ومنصف للمظلوم من الظالم

3 – أسباب نشأة نظام العزابة :

تظافرت عدة عوامل لنشأة نظام العزابة ومن أهم هذه العوامل :

– معركة مانو 283 هـ / 896 م ، و التي دارت رحاها بين الجيش الأغلبي و بين أهل نفوسة حين اعترضوا طريقه بين قابس وطرابلس وكان تعدادهم في عشرين ألف جندي ولكن الأغالبة تمكنوا من دحر الجيش النفوسي و الحاق الهزيمة وقتل منه 400 عالما وأسر منهم 80 عالما ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى منطقة قنطرارة .

و قبيلة نفزاوة وقتلوا من كان فيها من العلماء وشيوخ المذهب سنة 284 هـ / 897 م .

– سقوط الدولة الرستمية في الجزائر على يد أبي عبد الله الشيعي و أعقب ذلك متابعات و ملاحقات للإباضية في أريغ و ورجلان وجبل نفوسة .

– القضاء على ثورة أبي يزيد النكاري المعروف بصاحب الحمار من طرف القاسم بن عبيد الله الامام الفاطمي 338 هـ / 969 م ، وكان الغرض منها تأسيس دولة مسيرة من طرف العزابة النكارية .

– إنهزام الإباضية في معركة باغاي أمام المعز لدين الله 358 هـ / 969 م وكان ذلك سببا رئيسيا في العودة إلى مسلك الكتمان و التوجه إلى المناطق النائية الصحراوية لتفادي نفوذ الشيعة الفاطميين .

وهناك عوامل أخرى منها حاله الضعف التي عرفها المذهب في المرحلة الأخيرة من الدولة الرستمية فاختفت بذلك الصفوة و الدعاة المقتدرون الذين تتلمذوا على يد مؤسسي المذهب.

– إعتقاد الإباضية بأن الدولة الأغلبية و الفاطمية لا تتبعان أحكام الإسلام و لا تعملان بها وبالتالي فالضرورة تقتضي وضع مثل هذا النظام كبديل عن الدولة وفي نفس الوقت منع التعامل و الخضوع .

4 – شروط العضوية في العزابة : يشترط في أعضاء العزابة عدة شروط هي

1.أن يكون حافظا لكتاب الله .

2.المرور بكل مراحل الدراسة ويستوفى الدراسة في كل مرحلة .

3.المحافظة على الزي الرسمي للطلبة عندما يكون في الدراسة و الزي الرسمي للعزابة عندما يدخل الحلقة .

4.أن يكون أديبا ، كيسا ، فطنا ، ذا لباقة ومهارة في تصريف الأمور .

5.أن يكون محبا للدراسة راغبا فيها مواصلا للتعليم و التعلم .

6.أن لا تكون له مشاغل دنيوية كثيرة تجعله على كثرة التردد على الأسواق و الاختلاط بالعامة و السوقه اختلاطا يزري بمقامه و يذهب بهيبته .

7.أن يغسل جسده بالماء ويغسل قبله بالماء .

5 – مهام نظام العزابة :

المهام التربوية و التعليمية أنشيء في مرحلة الكتمان نظام تربوي تعليمي يتكون من : الشيخ وهو بمثابة مدير بلغة العصر و العرفاء و النقباء .

أ–المهام التربوية : أصبح من أهداف التربية الإباضية في مرحلة الكتمان .

– تربية النشأ و تحفيظهم القرآن وتعليمهم اللغة العربية و الشريعة الإسلامية .

– وضع البرامج التربوية و المناهج الدراسية حسب ما تقتضيه المرحلة ويقوم بهذه المهمة المدرسون .

– توفير الوسائل وتسيير السبل أمام جميع الأطفال لينالوا حضهم من التكوين و التعليم .

– الإشراف على حركة التأليف وحفظ التراث الإباضي .

مهام التعليمية : يقوم بهذه المهام الشيخ وهو المسؤول الإداري عن التعليم في حلقة العزابة ، أما العرفاء فهم بمثابة الطاقم الإداري التربوي في الحلقة منهم عريف أوقات الدراسة (عريف غير منفرد)وتختلف المهام بين الشيخ و العرفاء

أ–مهام الشيخ : تتمثل مهامه في :

– تعيين العرفاء وتحديد مهامهم أو فصلهم .

– قبول التلاميذ و الطلاب الجدد أو رفضهم .

– عقد الندوات الثقافية لطلبة الدراسات العليا و القيام بطرح الموضوعات الصعبة .

– الإجابة عن أسئلة الطلبة و استفساراتهم و يذاكرهم فيما حصلوه من علوم .

– تقديم النصائح و التوجيهات سواء في الدراسة أو الدين أو الحياة .

– الفصل في المنازعات و المشاكل التي تقع بين الطلبة .

– زيارة المرضى من الطلبة و مواساتهم .

ب – العرفاء

تتلخص مهمة العرفاء في الإشراف على التلاميذ حيث يقومون برعايتهم و مراقبتهم في أوقات الدراسة ، و أوقات الراحة كذلك وينقسم العرفاء الى أربعة أصناف .

– عريف لتعليم القرآن الكريم :

يشترط فيه أن يكون حافظا للقرآن الكريم ، وفي الغالب يكون عدد التلاميذ الدين يحفظهم القرآن ويصحح ألواحهم عشرة تلاميذ فقط . وإلى جانب تحفيظهم القرآن يعلمهم الآداب و الأخلاق الحسنة ، ويمكن لهذا العريف أن يختار من بين تلاميذه تلميذا مجتهدا وذكيا يساعده في مهامه ويسمى هذا التلميذ في نظام الحلقه بـ " النقيب " ومهمة هذا التلميذ : جمع التلاميذ في مكان المخصص لهم للقراءة و عند اكتمال عددهم يستدعى العريف لبدء الدرس ، فإذا حضر يستأذنه الجالسون على يمينه في حفظ ما كتبوه على ألواحهم في اليوم السابق ، فإن حفظوا كلهم استأذنوه في الاستملاء فأملأ عليهم .

- عريف أوقات الدراسة :

مهمة هذا العريف المحافظة على النظام كما يقوم بتسجيل الحاضرين في الحلقة و إذا ما غاب العريف تولى هو شؤون التلاميذ فيشغلهم في إنجاز الواجبات أو حفظ القرآن ، كما يتولى مراقبة الطلبة اثناء وقت الاستفتاح ، فمن نام منهم عاقبه كما يمنع الطلبة من الأكل في أوقات الدراسة .

- عريف الختمات و أوقات النوم

يقوم هذا العريف بإعلان انتهاء الدروس الصباحية ، واستدعاء التلاميذ الختمة حيث يدعو أكبر التلاميذ سنا دعاء الختام ، و يردد بقية التلاميذ وراءه .ثم ينتهي الدرس وينصرف التلاميذ ويعتبر الحضور إلى دعاء الختمة إجباريا ، وعدم حضور التلميذ تعرضه للعقاب حيث يؤدب في إحدى زوايا المسجد . كما يتولى هذا العريف مراقبة التلاميذ أثناء نوم القيلولة الإجباري واستدعاء التلاميذ و الطلبة إلى حضور ختمة المغرب ، وتكون هذه الختمة بعد انتهاء صلاة المغرب مباشرة حيث يجلس الطلبة و التلاميذ على هيئة حلقة ابتداء من يمين الطالب الأكبر سنا ، ثم يقوم اثنان منهما بقراءة القرآن إلى أن تحين صلاة العشاء ، فيتوقفون عن القراءة ويدعون دعاء الختمة ثم يقومون للصلاة .

و الحضور إلى هذه الختمة إجباري كذلك ، كما توجد ختمة أخرى وهي الختمة النهائية وتعقد بعد صلاة العشاء إلا أن حضورها ليس إلزاميا على التلاميذ .

ومن المهام الأخرى للعريف الإشراف على الطلبة الذين يبقون بعد ختمة صلاة العشاء ولا يحق للتلميذ أن يتأخر عن النوم في الوقت المحدد له ، أما الطلبة فيمكن لهم مواصلة الدروس شريطة أن لا يزعجوا النائمين حتى يستيقضوا في الثلث الأخير من الليل .

المبحث الثالث : طرق ووسائل التربية والتعليم في مرحلتي الظهور والكتمان

1- الطرق التربوية والتعليمية

اقتصرت الطرق التربوية و التعليمية عند الاباظية و كغيرهم من الفرق الاسلامية في تلك الفترة على ماهو مألوف ومتداول في المشرق والمغرب الاسلامي ولم تشد عن هذا المنهج وتتمثل هذه الطرق في :

أ- **التلقين والحفظ:** تفد من اهم الطرق التربوية والتعليمية واوسعها انتشارا وخاصة في مرحلة الكتاب وتقوم هذه الطريقة بان يقوم المؤدب باملاء المعلومات على التلاميذ لكتابتها على الالواح ثم يحفظونها وللتأكد من الحفظ يقوم التلميذ بعرض او قراءة ماحفظ على المؤدب او المعلم فاذا حفظ التلميذ ماكتب اذن له بمحو ماكتبه عن طريق غسل اللموح بالماء ليكتب عليه معلومات جديدة و تتواصل هذه العملية على نفس المنوال

حتى يتم حفظ المادة العلمية المراد تعليمها وفي نهاية عملية التعليم يقوم المعلم تلميذه بامتحان فإذا نجح حصل على اجازة

ب- **الحوار والمناقشة** : وتكون في مراحل متقدمة من الدراسة بعد ان يحصل التلميذ على حظ وافر من العلم ويكون قد اكمل التكوين الاولي بالكتاب ويعد هذا الاسلوب أهم و الوسائل في تعلم عن المناظرة التي اعتمدها الاباظيون في الاقناع بمذهبهم وتزخر كتب الاباظية بنمادج من هذا النوع وخاصة المناظرات التي كانت تتم بين علماء الاباظية والمعتزلة

ج- النصائح والمواعظ : لاتخلو العملية التربوية والتعليمية من النصائح والمواعظ للناشئة بغرض النصح العام او لتقويم اعوجاج ومن اهم النمادج في هذا الشأن قصيدة الامام اصلح ابن عبد الوهاب ومما جاء فيها على سبيل المثال (احذر يا اخي)

أن يكون طلبك للعلم للجاه او او لجلب الانظار اليك ولجمع الحطام المذموم من الدنيا بل يكون تعليمك لله ونيتك تقية للجهل .

كثرة الدرس كده ولا يصبر عليه الا من يرى العلم مغنما والجهل مغرما

اياك ان تشغل بعلم غيرك قبل ان تتعلم ماانت مسؤول عنه يوم القيامة

اما المواعظ فغالبا ماتكون في الدروس العامة ومن امثلتها ماورد في كتاب عبد الرحمان ابن رستم الذي تضمن خطبا للجمعة كان يلقيها في تيهرت 2 بالاظافة الى رسالة الامام عبد الوهاب الى اهل طرابلس وهي عبارة عن مواعظ عامة تدعوا الى بر الوالدين ، غض البصر ، الاستئذان على اهل البيت ، النكاح بالرضا ، الفريضة باذن الولي والشهود ذوي العدل ، ذكر اسم الله عند الذبيحة ، الحكم بين الناس بالعدل .

د- الرسائل : برز دورها في مرحلة التأسيس الدولة الرستمية وكانت متبادلة بين اباظية المشرق والمغرب ومن اشهرها رسالة الزكاة وهي جوابات ابي عبيدة الى اهل المغرب موجهة الى اسماعيل بن سليمان المغربي ومنها جوابات الامام عبد الوهاب المعروفة بمسائل نفوسه وجوابات جناو بن فتى وعبد القهار بن خلف المعروفة باجوبة علماء فزان

2-**الوسائل :** تميزت بالبساطة نظرا لطبيعة المجتمع الاباظي من جهة والاضطربات التي عرفها من جهة اخرى ومن اهم هذه الوسائل

أ-**الكتب الدراسية :** حرضا على تثبيث المذهب عمل الاباظيون على العناية بالكتب الدراسية وشملت مختلف المجالات الدينية كالعقيدة والجديث والفقه ومنعو غيرها المخالفة للمذهب الى درجة هجرة من يثبت عنه مطالعتها ولو كان من العلماء مثال ذلك تبرأهم من سليمان بن يعقوب بسبب دراسته لكتب المخالفين وقوله بآراء لا تقول بها الإباضية اعتمد في المرحلة الاولى من تأسيس الدولة الى القرن الثاني هجري على مؤلفات وكتب الطبقة الاولى من علماء الاباضية المشارقة كجابر بن زيد وابي عبيدة ومحبوب بن رحيل وسالم بن ذكوان وهذا الانشغال اباضية المغرب بالتربية والتكويين وتأسيس امامات الظهور لذلك اعتمدوا على اجوبة عن اسئلتهم من علماء اباضية المشرق

اما في المرحلة الثانية (بداية القرن الثالث هجري التاسع ميلادي الى 283هـ/869 م) اعتمدوا على التأليف بفضل ظهور علماء الاباضية المغاربة ونصبت حركة التأليف خصوصا بعد معركة مانو والتي قتل فيها عدد ضخم من العلماء

ومن اشهر الذين داع صيتهم في التأليف نذكر على سبيل المثال هود بن محكم الهواري ومحمد بن يانس النفوسي وابو عبيدة الاعرج وعبد الوهاب بن عبد الرحمان ابن رستم ومن اشهر هذه الكتب تفسير عبد الرحمان ابن رستم وتفسير هود بن محكم الهواري ورسائل الامام جابر ابن زيد وكتاب المدونة ابي غانم بشر الخرساني وكتاب ابن ماطوس ورسائل الاخوان وجواب ابي القاسم السدراتي بن حسن الى نفات بن نصر وكتاب الفتيا وكتاب الغانمي وقال عنهما يوسف ابن خلفون مخاطبا المغاربية ماعلمت لكم كتابا غيرهما

ب-الالواح

تعد في تلك العصور اهم الوسائل التعليمية لوفرتها وغلاء ثمن الاوراق ولم تخص الاطفال فقط بل شملت الكبار ايضا في حالة انعدام الاوراق وكانت الالواح شائعة في بلاد المغرب ذكر ابراهيم بحاز نقلا عن ابي العرب ان اسماعيل بن رياح الجزري كان يحضر المكتب في صباه لطلب العلم ومعه لوحة فاذا حفظ ماعليها غسله في اناء معد لذلك

ج- الامتحانات والاختبارات

عملية التقويم التربوي بلغة اليوم هو ما كان يطلق عليه الامتحان اليومي بان يعرض التلميذ يوميا ماحفظ على المعلم في نهاية كل حصة اما اصحاب الكتب فيقدر المعلم ماتم استيعابه من المعرفة من خلال المناقشة والمسآلة فاذا وجد التلميذ متمكنا من ما علمه رشحه للامتحان النهائي والذي يتوج في حالة النجاح باجازة اما الامتحانات فتكون في نهاية كل مرحلة دراسية يحضرها عدد من المعلمين وفيها يمتحن الطالب في عدد من المعارف والعلوم فاذا نجح حصل على اجازة شفوية او مكتوبة من طرف هؤلاء المشايخ ويحضون بتزكية من الامام كبار رجال الدولة

د- الثواب والعقاب :

من الوسائل الهامة التي يلجأ اليها المعلم للتأثير على المتعلم ايجابا او سلبا غير ان المبالغة فيهما لا يمكن للمعلم من تحقيق الهدف الذي من اجله شرعا ومن هنا تظهر اهمية مسلك الوسطية بين الثواب والعقاب في العملية التربوية والاباظية لم تشد عن هذا الاسلوب التربوي الذي كان سائدا في العالم الاسلامي ومن اهم الاسباب الموجبة للعقاب التقصير في الواجبات الدراسية

او الدينية ، سوء الخلق وقد يكون العقوبة الحرمان من التعليم لاولاد السفلة او العقاب النفسي كحبس التلميذ والعقاب الجسدي والحرمان من الاكل

اما الهدف من الثواب تشجيع التلاميذ والطلبة والمتفوقين قصد المواصلة والزيادة او لذكاء وفطنة من ذلك ذكر ابو زكرياء ان ابن الجمع اوصى بكتبه لتلميذه ابي ربيع سليمان واصحبه معه الى سجلماسة ويعلمه ماشاء من العلوم و مجمل القول ان التربية والتعليم رغم بساطة طرقها ووسائلها كانت فعالة وان للمعلم له دور محوري في العملية التربوية في المجتمع الاباضي

الفصل الثاني

اثر تربية الناشئة على الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية

المبحث الاول: اثرها على الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني: اثرها في الحياة الفكرية

المبحث الثالث: اثرها في الحياة الدينية

المبحث الاول: اثرها على الحياة الاجتماعية

قبل التطرق الى أثر تربية الناشئة على الوضع الاجتماعي في تاهرت وغيرها من المجتمعات الاباضية يجدر بنا اولا معرفة تركيبة المجتمع الاباضي قبل وبعد التأسيس الدولة الرستمية

1. القبائل والاجناس المشكلة للمجتمع الاباضي

أ. **قبيلة لماية:** استقرت جنوب المغرب الاوسط وكانت تربطها علاقات صداقة مع عبد الرحمان ابن رستم وهذا ما يفسر لجوؤه اليها بعد فراره من القيروان ولعبت لماية دورا كبيرا في تأسيس الدولة الرستمية[1] فقد استقبل افرادها عبد الرحمان بن رستم واجتمعوا إليه وبايعوه بالامامة ثم شرعوا في بناء تاهرت[2] وكانت قبل ذلك حملت المذهب الاباضي ونشرته بين جيرانها كلواته.

ب . قبيلة لواته البربرية

يعزى لها الفعل الاكبر في توطيد اركان الدولة الرستمية والمحافظة على كيانها السياسي وهذا ما جعل الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم يصاهرها لكي تكون له قوة يستعين بها للقضاء على الفتن والغزو الخارجي كفتنة قبيلة هوارة بقيادة

[1] يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ،ط1 ، المطبعة الوطنية الجزائرية 1965م ص9.
[2] عبد الرحمان ابن خلدون : مصدر صابق ، ج6 ص247 .

مقدم اوس الهواري المعروف بابن مسالة[1] وكان ذلك في عهد ابي بكر بن افلح اذ تمكن ابن مساله من طرد الرستميين وقبائل البربر الموالين لهم في تاهرت .

وبعد اعتزال ابي بكر بن افلح الامامة بايعت القبائل البربرية ابي اليقضان سنة 141هـ وعلى رأس هذه القبائل لواته ونفوسه[2] .

جـ . قبيلة هراوة البربرية

كان مواطنها شرق طرابلس وكان لها سبق في اعتناق المذهب الاباضي والدفاع عنه ولها صلات وثيقة بقبيلة لماية وحاولت الخروج عن الامام عبد الوهاب وعن تقاليد المجتمع الرستمي وتحالفت مع قبيلة لواته عن طريق المصاهرة لكن الامام عبد الوهاب فك هذا التحالف بمصاهرته لقبيلة لواته اذ تزوج باحدى بنات شيخ القبيلة التي خطبها زعيم قبيلة هوارة [3]

واضطرت هوارة الى الاستنجاد بالامام عبد الوهاب سنة 196هـ 811م بعد تمردها وثورتها على العباسيين بطرابلس إلا ان العباس ابن الاغلب نجح في القضاء على هذا التمرد عندما ارسل ابنه العباس عبد الله على رأس جيش قوامه 13000 جندي ولذلك تمكن ابن الاغلب من دخول طرابلس حينئذ لبى الامام عبد الوهاب نداء

[1] ابن الصغير المالكي : مصدر سابق ص 32.
[2] نفسه ص 55 .
[3] عبد الله الباروني : مرجع سابق ،ج 2 ص 133 .

هوارة وزحف بجيش قوي وضرب حصارا على المدينة سنة 196م/811هـ انتهى بصلح مع الاغالبة [1].

د – قبيلة مزاته وسدراته

تعتبر قبيلة مزاته وسدراته سندا قويا للدولة الرستمية ويستشف ذلك من قول الامام عبد الوهاب ابن الافلح (ماقام هذا الدين والحكم الرستمي الا على سيوف نفوسه واموال مزاته).[2]

وكان لقبيلتي مزاته وسدراته نفوذ قوي في الدولة الرستمية الى درجة ان عبد الوهاب استجاب لهما حين طلبا منه تغيير القاضي وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة.[3]

والى مزاته يرجع الفضل في فض النزاع والصراع الذي دام اربعة سنوات حتى قطعت السبل وفرغ من ايدي الناس الحرث والنسل .[4] وكان بسب الصراع والتنازع عن الحكم بين يعقوب بن افلح وابن اخيه ابي حاتم .[5]

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق : الأغالبة (184 - 296) سياستهم الخارجية ط 1 ، مكتبة وراقة جامعة فاس ، المغرب 1978 م ص 105 - 106 .
[2] عبد الله الباروني : مرجع سابق ص 273.
[3] إبن الصغير المالكي : مصدر سابق ص 47.
[4] نفسه، ص 48.
[5] نفسه، ص 48.

هـ – قبيلة نفوسة

تعد من اكبر القبائل البربرية انتشارا واكبر المؤيدين للدولة الرستمية فقد ذكر اليعقوبي انهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم لهم رئيس يقال له إلياس لا يخرجون عن أمره ومنازلهم من جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا إلى السلطان إلا إلى رئيس لهم وهو إمامهم يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم .[1]

كان لنفوسة دور كبير في الحياة الإجتماعية اليومية في تيهرت فتولت عقد تقديم القضاء وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والإحتساب على الفساق بالإضافة الى القبائل البربرية المذكورة آنفا هناك قبائل أخرى لها دور بارز في المجتمع الرستمي من بينها قبيلة مكناسة و مطماطة[2] ونفزاوة[3] مطغرة [4]

[1] ابن واضح احمد بن ابي يعقوب : صفة المغرب ماخودة من كتاب البلدان مطبع بريل ليدن 1860 ص 7.

[2] قبيلة زناتية نزلة باماكن عدة بالمغرب الاسلامي والاندلس وضل اسمها شائعا في تلك الاماكن وتحولة الى مدن زاهرة . ابن الخطيب مصدر سابق ص 169.

[3] تنسب الى فاتن بن تصميت وهم اخوة مطغرة ولماية ونحدر شعوبهم من لوا ابن مطماط سكنوا بنواحي فاس وقابس ومنداس بجبل الونشريس وجبل تزول بنواحي تيهرت . ابن خلدون مصدر سايق ج 6 ص 251.

[4] قبيلة زناتية لعبت دور في الفتح العربي الاسلامي للمغرب وينسب اليهم ميسرة المطغري . ابن الخطيب مصدر سابق ص 148.

و – العرب :

وفدوا إلى بلاد المغرب في ثلاث موجات أولها هجرة الخوارج سنة 39هـ/661 م بعد ما هزمهم الإمام علي رضي الله عنه وإستقروا في ساحل تونس والواحات الجنوبية أما الموجة الثانية وهي الرئيسية كانت بعد الفتح العربي الإسلامي جاؤوا من اليمن والحجاز ومعظمهم جنود أو فرسان ولم يكونوا متزوجين فلما إستقروا ببلاد المغرب تزوجوا من نساء البربر فنشأ بذلك عنصر جديد خليط من البربر والعرب وقد وصلت الموجة إلى المحيط الأطلسي وواد سوس أما الموجة الثالثة فكانت أثناء فتح الأندلس ودخول العرب الفاتحين إليها وكان لها دور كبير في نشر اللغة العربية والدين الإسلامي.[1]

ح – العجم :

وهم الفرس الذين وفدوا إلى المغرب الإسلامي مع جيوش الخلافة العباسية لإخماد ثورات البربر وكان يطلق عليهم العجم [2] بلغ شأنهم في الدولة الإباضية الرستمية فأسندت لهم سيادة الجيوش وتقلدوا المناصب العليا في البلاد وساهموا بشكل فعال في الحياة السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية.

[1] عبد المنعم الشرقاوي : ملامح المغرب العربي ط1، دار المعارف ، الاسكندرية ، مصر 1959 م ص62.

[2] ابن الصغير المالكي : مصدر سابق ص 72.

هذا التعايش والإنسجام بين مختلف المجتمع المغربي شكل مجتمعا متمايزا غير متجانس في صراع طائفي وعنصري فالعرب تمتعوا بوضع ممتاز نتيجة إحتكارهم الحكم رغم أن الصراع و شقاق دب بين العرب اليمنية والعرب القيسية في أواخر العصر الأموي [7]

أما البربر فبرغم أنهم يمثلون السواد الأعظم فلم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية ضف إلى ذلك النعرات والخصومات القبلية بين عنصري البتر و البرانس وإلى جانب العرب والبربر وجدت ببلاد المغرب أقليات من الأفارقة والسودان واليهود.

هذه الأوضـاع التي عاشها البربر في عهد بني أمية كانت وراء وقـوف البربر مع ثورات الخوارج ونجم عنها قتل الكثير من العرب في موقعة الأشراف بين العرب و البربر في طنجة سنة 122هـ /740م

وبعد سقوط الدولة الأموية. وقيام الدولة العباسية 132هـ/ 750م لم يتغير الوضع لإعتماد العباسيين على الجند من خرسان وفارس في مواجهة الثورات في البلاد [1]

إلا أن الوضع تغير بعد إعتناق البربر للمذهب الإباضي خصوصا الـذي يقـوم على مبادئ المساواة وإختفت النزاعات بين بربر الوبر وبربر المدر وهذا ما يؤكده قيام دولة بني رستم فقد قامت على أكتاف قبائل ولواته ومكناسه ومزاته وغيرها [2]

[1] ابن الصغير المالكي: مصدر سابق ص 263.
[2] نفسه، ص 263 .

كما أن إنتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب كانت له آثاره الإجتماعية في حياة سكان المغرب الأوسط سواء على مستوى الإقليم الجغرافي أو على مستوى السكان فعلى مستوى الإقليم الجغرافي تحولت تاهرت من عياض و آجام للوحوش والزواحف [1] إلى مدينة عامرة آهلة بالسكان مزدانة بالعمائر والزروع كما تحولت غدامس وورجلان وزويلة من مجرد قرى مغمورة على حافة الصحراء الى منافذ وثغور داخلية آهلة بالحركة والنشاط بفضل تجارة بني رستم من بلاد السودان [2] وترتب على ذلك إنتقال السكان من حياة البداوة والترحال الى حياة الحضارة والإستقرار [5] .

نتج عن العناية بالنشأ علميا وتربويا تشكل مجتمع ذو أجناس متعددة و مذاهب دينية مختلفة ساد بينها التآلف و التعاون تحت راية الدين الإسلامي الحنيف والمذهب الإباضي و هو دين الدولة .[3]

و انصهرت في المجتمع هذه التشكيلات المختلفة من الأفارقة و البربر و العرب الوافدين من الشاميين و العراقيين و السودانيين و الأندلسيين و الصقالبه الى جانب أهل الذمة من اليهود و النصارى و أصبحت تجمعهم هذه الحياة المشتركة و تربطهم بالبيئة الإجتماعية و المعيشية و تجمعهم حياة مدنية .[4]

[1] ابن الصغير المالكي : مصدر سابق ص 263.
[2] نفسه، سابق ص 263.
[3] احمد مختار العبادي : مرجع سابق ص13.
[4] حسن مؤنس : فتح العرب للمغرب ومصر ، مكتبة الاداب ، القاهرة 1947 م ص5.

و لذلك نعم المجتمع بالاستقرار و الأمن و العدالة و الرخاء الاقتصادي رغم أن العناصر الغير إباضية تدرك انها تنضوي في ظل الدولة تختلف عنهم في المذهب لكنها كانت تعلم أن الخلافات المذهبية لدى تلك الجمهورية الناشئة يتسع فيها العدل للجميع و لا تحل بالتحزب و الإستنفار و الإحتكام إلى السيف و إنما يتم الخوض فيها عن طريق الحوار الهادئ و مثال ذلك شعور الواصلية وهم إحدى فرق المعتزلة بالإرتياح في ظل وجود الإباضية لأنها لا تشكل تهديدا لهم رغم القرب الجغرافي فكان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت و كان عددهم زهاء ثلاثين ألف يسكنون بيوتا كبيوت الأعراب [1]

و كان الحوار مستمرا بين الفريقين و بالرغم من إحتكام الواصلية إلى السيف في إمامة عبد الوهاب بن أفلح لم يكف عن خطته في طلبهم للمناظرة التي ظلت السبيل الوحيد للإقناع .

و يقول إبن الصغير في هذا الصدد { ومن بالبلد من فقهاء الإباضية و غيرهم لم يطالب بعضهم بعضا و لا سعى بعضهم ببعض و كانت مساجدهم عامرة و جامعهم الذي يجتمعون فيه و خطيبهم لا ينكرون عليه شيئا و من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة و كذلك من أتى إلى حلق

[1] البكري : مصدر سابق ص 67.

الإباضية من غيرهم كان سبيله كذلك } [1] هذه الروح السمحة هي التي كفلت التضامن للمجتمع الإباضي و ساعدت على لأم الجراح التي كانت تسببها الإنقسامات .

هذا الجو الذي تميز بالإستقرار و التسامح دون تمييز بين المواطنين الأصليين و الغرباء عاملا هاما في توالي الهجرات فأتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار فلم يكن أحد ينزل بهم من الغرباء إلا سكن معهم و إبتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد و حسن سيرة إمامه و عدله في رعيته . ويذكر المقدسي أن تاهرت قد إنتعش فيها الغريب و استطاب بها اللبيب فظهرت فيها أحياء خاصة بكل مجموعة مهاجرة ومن الطبيعي أن يكون بينهم إباضيو العراق من البصرة و الكوفة زيادة على إباضية جبل نفوسة .

و من أهم مظاهر سيادة العداله الإجتماعية في المجتمع الإباضي دون أدنى إعتبار للجنس هو وجود إثنان من رجال الشورى السبعة الذين سماهم الإمام عبد الرحمن بن رستم ليختاروا إماما من بينهم و هما الفقيه مسعود الأندلسي و عمران بن مروان . و لولا زهد مسعود الأندلسي لوقع عليه الإختيار دون عبد الوهاب.[2]

[1] ابن الصغير المالكي : مصدر سابق ص263.
[2] ابو زكرياء (يحي) : مصدر سابق ص54.

ولم يقتصر الأمر فقط على البربر و الأندلسيين بل تعدى الأمر إلى أهل الذمه و تشير المصادر إلى وجود أقلية مسيحية و يهودية في تيهرت و كان وجهاء الأقلية المسيحية يعدون من خواص الإمام الرستمي الإباضي و لا سيما منهم أفلح بن عبد الوهاب و كانوا يشاركون الإمام أبي اليقضان و أبي حاتم في حروبهما ضد المناوئين و الخارجيين عليه , و عندما سقطت تاهرت في يد أبي عبد الله الشيعي سنة (296 هـ \909 م) شد المسيحيون و اليهود الرحال مع الإمام الاباضي المهزوم إلى واحة ورجلان مع مطلع القرن 4هـ \ 10 م [1]

و من مظاهر التربية أيضا في المجتمع الإباضي أن الأئمة الرستميين وهم من كانـوا بالأمـس تلاميـذ حرصـوا علـى مساعـدة المحتاجيـن و الفقراء فهـذا عبد الرحمن بن رستم مثلا عند ما تقبل المساعدات من أهل البصرة أول مرة وزع ثلثهاعلى المستحقين أصبح البلد مكتفيا ذاتيا إذ نظم جمع الصدقات و كان ما يتحصل عليه كل عام من شياه و جمال يباع ثم يحصي الإمام من في البلد وحوله ليعرف عدد الفقراء و المساكين فإذا علم عددهم أمر بإحصاء الأهراء من طعام ثم أمر بجميع ما بقى من مال الصدقة فاشترى أكيسة صوفا و جبابا و فراء و زيتا ثم دفع في كل أهل بقدر ذلك .

[1] ابن الصغير المالكي مصدر سابق ص 48.

و بحكم أن أئمة الدولة الرستمية من العلماء فطبيعي أن هذه السياسة لم تتوقف و ذلك لتمسكهم بتطبيق الشريعة تطبيقا دقيقا و سيرهم الفاضلة و لوجود الشراة [1] القائمين بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و لا شك أن هذه الجهود أثمرت في زيادة الصدقات و قللت من المحتاجين عندما تعددت فرص العمل و كثرت الموارد , و أصبح بذلك الفقر ليس بالداء الذي يهدد المجتمع التاهرتي او يتعذر فيه علاجه.

[1] الشراة : لفظ يراد به جماعة تتركب من 40 رجلا فما فوق اشتروا اخرتهم بدنياهم وعاهدوا الله على انكار المنكر والامر بالمعروف دون مبالاة ولاخوف من الموت .عبد الله الباروني مصدر سابق ج2 ص210.

المبحث الثاني: أثرها في الحياة الفكرية

1- تطور حركة التأليف

المتتبع للتاريخ الإباضي يدرك أن نشأته في حد ذاتها نشاة علمية تربوية تأسست في البصره جنوب العراق وكان علمها البارز أبو الشعثاء جابر بن زيد ومن بعده مسلم بن أبي كريمة وأبو عبيدة والذي اتسعت في أيامه الحركة العلمية على هيئة مجالس علمية يعقدها علماء معروفون يقصدها أصناف شتى من الناس منهم الطلبة بغرض العلم وآخرون لطلب الموعظة والهداية إلى علماء متميزين يتدارسون شؤون الأمة وأمورها.[1]

وعبد الرحمان بن رستم على سبيل المثال من خريجي هذه المجالس التي أسسها الإباضيون في مراكز العمران بين القيروان والبصره ومن تلاميذ أبي عبيده مسلم المباشرين.

وإلى هؤلاء التلاميذ يرجع الفضل في نقل نظام المجالس العلمية إلى المغرب وانتظمت الحلقات بين فزان وقابس وبين الجبل وتاهرت

[1] عمر خليفة الناي،ملامح عن حركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري،مجلة الاصالة المجلد الاول ص98

وعرفت الحركة الفكرية تطورا ملحوظا بعد ازدهار تاهرت واستتباب الامن فيها، لذلك قصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب لأخذ العلم أو لعرضه وكانت بذلك ملتقى اشعاع فكري يصل المغرب بالمشرق والشمال بالجنوب.

وتذكر الروايات التاريخية ان عبد الرحمان بن رستم أرسل ألف دينار إلى إخوانه في البصره ليشتروا له كتبا فأخذوا له أربعين جملا محملة بالكتب[1], وكذلك الأمر بالنسبة لأبي غانم بشر حضر من البصرة إلى تاهرت ومعه مدونته المشهورة فعرضها على الإمام عبد الوهاب ورواها الإمام عنه.

وفي تاهرت مراكز علمية يشرف عليها الأئمة بأنفسهم ويساهمون فيها , ولم تقتصر ازدهار الحركة الفكرية على تاهرت بل شملت أيضا التجمعات الإباضية السالفة الذكر كجبل نفوسه وجربة في العهد الرستمي وبعده وكذلك الأمر في المراكز الجديدة إلى نشأت عقب سقوط الدولة الرستمية كورجلان وسدراته و أريغ.[2]

ومن مظاهر الحركة العلمية في هذه الربوع ظهور علماء اجلاء ساهموا في إثراء الحركة الثقافية مثل الشيخ أبي يعقوب بن يوسف بن سلهون السدراتي الذي تصنفه المصادر الإباضية ضمن الطبقة السادسة أي من علماء القرن الثالث الهجري التاسع

[1] السالمي،اللمعة المرضية في ائمة الإباضية،ص75

[2] أريغ:تنسب المنطقة إلى قبيلة بني ريغة،وبنو زيغة تتصل نسبهم ببني مغراوة ويتصل نسبهم بزآيبا مثل قبيلة بني يفرن وبني واسين وجدهم الأول الديرت بي جانا أي جانانتن أي زنانه وقد إمتاز اهلها بالاخلاق والحسنة .
الرسياني: مصدر سابق ،ص70

ميلادي ولعلو منزلته ومكانته العلمية تولى القضاء في وارجلان ويقوم كذلك بتعليم التلاميذ دروس الوعظ في مساجد المدينة[1]

كما أشتهر يعقوب بن أفلح الفار من تاهرت وكان عالما بالتنجيم وقد سئل عما إذا كان يحفظ القرآن ,فأجاب قائلا((أستعيذ بالله من أن ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام مالم أحفظ وأعرف معناه فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[2] ومن أبرز العلماء الآخرون أبي نوح سعيد بن زنغيل الذي تزعم الثورة ضد الفاطميين.ولقي هذا الأخير ترحيبا كبيرا من العالم ابو صالح جنون بن يمريان الذي عرض على أبي نوح مدة في ورجلان قضاها في التدريس وتنظيم الحلقات العلمية في مسجد أبي صالح جنون[3] أما في آريغ برز علماء تركوا اسهاماتهم في تأليف العزابة منهم هبد السلام بن أبي السلام الرمولي,وجابر بن حمد الزنزفي وابراهيم بن أبي ابراهيم الدجمي.[4]

ولا شك أن ازهار الحياة الفكرية في المجتمعات الإباضية ساهمت بدورها في حركة التأليف والتى تعود جذرها إلى القرن الأول الهجري حيث تأسست مدرسة البصره التي تخرج منها علماء توارثوا العلم جيلا بعد جيل امتدت فروعها في المشرق والمغرب الإسلامي فقاموا بتأسيس المدارس ونشطوا الحركة العلمية في مشكل الظهور

[1] مسعود مزهودي:الإباضية في المغرب الاوسط،ص239
[2] الدرجيني أبو العباس:مصدر سابق الذكر،ج1،ص144
[3] أبو زكرياء يحي،: مصدر سابق ،ص126
[4] الوسياني ابو ربيع،مصدر سابق،ص81

والكتمان فألقوا ما تزخربه المكتبات من موسوعات فقهية في تاهرت وجبل نفوسه وجربه وورجلان ومن أبرز العوامل التي ساهمت في التأليف نذكر :

1- دور الأئمة الرستميين في حركة التأليف قياما وتشجيعا ونقلا.[1]

2- حرية الفكر وحلقات المناظرة والجدل مما أوجد تصانيف كثيرة للرد على المخالفين.

3- كثرة العلماء بتاهرت من الإباضين وغيرهم بغرض المشاركة في المناظرات أو الاقامة فيها ويعودالفضل في ذلك إلى حرية المعتقد الذي تميزه المذهب الإباضي.[2]

4- التراجع الكبير الذي عرفته اللغة العربية والفقه في معظم التجمعات الإباضية وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث هجري التاسع ميلادي وقال أحد العلماء في هذا الصدد((.....أن تعلم حرفا من العربية كتعلم ثمانين مسألة في الفروع وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة.[3]

5- الصراع المذهبي وخصوصا سنة 407هـ/1017م,في عهد الدولة الزيرية بعد التحول من المذهبي الشعبي إلى المذهب السني وتبح عنه مصادره الشيعية والإباضية وكان لإبن سحنون دورا كبيرا في هذه الحركة التي تحول على أثرها عدد كبير من الشيعة والإباضية إلى المذهب المالكي.[4]

---

[1] شعبان صلاح الدين: مرجع سابق،ص140
[2] ابن الصغير المالكي: مصدر سابق،ص31
[3] الشماخي أحمد: مصدر سابق ،ج2،ص74
[4] نفسه .ج1،ص244

6- تعرف قلعة بني درجين للحرق 440هـ/1084م وعلى اثر ذلك تعرضت مكتبتها أيضا للحرق مكان هذا الحادث دافعا قويا للتأليف.

7- تطور العمران ونتج عنه تأسيس القصور الأول في وادي ميزاب وأستغلال الأراضي الفلاحية وبالتالي الحاجه الماسة إلى إستغلال المياه وتقسيمها وفقا للشريعة الإسلامية .[1]

8- الحاجة الماسة إلة الكتب الدراسية والتعليمية بغرض تبسيط وتسيير محتوياتها للتلاميذ المبتدئيين لتتلائم مع قدرات المتعلمين من جهة ومساعدة المدرسين على أداء مهامهم من جهة أخرى وإذا كانت مرحلة الظهور تميزت بازدهار حركة التأليف فإن في مرحلة الكتمان ضعفت لعوامل عديدة منها تعرض بعض المكتبات الإباضية للحرق ومقتل عدد كبير من العلماء في واقعة مانو 283هـ/896م وواقعة باغاي358هـ/969م.

وأصبحت حركة التأليف مقتصرة على جمع التراث الإباضي وتدوين المراسلات والردود والمناقشات والمناظرات.

وعادت حركة التأليف مجددا في النصف الثاني من القرن الخامس هجري (11م) بعد تخرج الطبقة الأولى من تلاميذ أبي عبد الله الفرسطائي الذين جمعوا أرائه من

[1] ناصر محمد: حلقه العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي دط جمعية الثرات ، القرارة، الجزائر 1410 هـ 1989 م ص34

بعده في كتاب التحف المخزونة لتلميذه سليمان بن يخلف وبعد هذا الكتاب اشمل كتاب جمع اراء وفتاوي أبي عبد الله الفرسطائي.[1]

أما أهم العوامل الخارجية التي ساهمت في حركة التأليف فنوجزها في ما يلي:

- الأفكار الجديدة التي حملها عبد الرحمان بن رستم وغيره من حملة العلم والمؤلفات والسير التي تركوها.[2]

- الكتب الفارسية والرومية التي ترجمت الى اللغة العربية في أواخر القرن الثاني هجري(8هـ) وبداية القرن الثالث هجري ميلادي في عهد المأمون حيث عرفت هذه الكتب انتشارا واسعا ونتج عنها ظهور علم الكلام واشتغال المسلمين به مشرقا ومغربا.

- الموقع الجغرافي الممتاز للدولة الرستمية فهي تجمع بين الحصانة الطبيعية والمناطق النائية والطرق التجارية وهو ما جعل التجار يتوافدون إليها من إفريقية والسودان وافرغوا علومهم فيها مثل ما أفرغوا سلعهم.[3]

- دور علماء الإباضة والمالكية الذين درسوا في القيروان لقد أسهم هؤلاء في إزدهار العلوم وبرز فن المناظرة كمعيار تقاس به قوة مذهب من المذاهب ويقول أبن الصغير في ((....لما ضرب أبو اليقضان سرادقة خرج إليه العلماء والقراء للإستفادة

[1] شعباني صلاح الدين،مرجع سابق،ص147
[2] النامي(عمرو)مرجع سابق،ص113-117
[3] البرادي ابو القاسم،مصدر سابق ،ص182

من علمه))[1] ولم تتوقف رحلة الطلبة الإباضيين إلى القيروان في مرحلة الكتمان ومن بين هؤلاء أبو بكر الفرسطائي.

- الكتب والرسائل والردود والجوابات القادمة من المشرق إلى المغرب سواء عن طريق الهبات والزيارات ومواسم الحج ومن أشهر الأمثلة الخزانة التي أرسلها إباضية المشرق إلى المغرب في عهد الإمام عبد الوهاب .[2]

2- التأليف والمؤلفون:

كما أسلفنا القول أن طلبة العلم الخمسة هم من نقلوا المذهب الإباضي إلى المغرب الإسلامي ولا ان الدولة الرستمية ولقوا العلم على هؤلاء أو ممن تتلمذ على هؤلاء فمن الطبيعي إذ أن تكون لهم اسهامات في حركة التأمين ومنهم على سبيل المثال:

1-عبد الرحمان بن رستم مؤسس الدولة الرستمية ألف كتابا في تفسير القرآن [3]وألف الإمام عبد الوهاب كتاب مسائل نفوسه في الفقه[4] والف الإمام افلح كتبا في الفقه أشهرها نوازل نفوسه والإمام أبو اليقضان أشتهر بكثرة التآليف له رسالة في خلق القرآن وكتب في الرد على المخالفين والف كتابا من اربعين جزءا[5] .اما العلماء فبرز منهم عدد كبير في القرن الثالث هجري في تاهرت وجبل نفوسة وفزان وجربة أسهموا

[1] ابن الصغير المالكي،مصدر سابق،ص85
[2] الدرجيني ابو العباس: مصدر سابق ،ج2،ص323
[3] البرادي أبو القاسم: مصدر سابق الذكرص219
[4] الباروني سليمان : مرجع سابق الذكر ج2،ص153
[5] الوسياني أبو ربيع: مصدر سابق الذكرج2،ص157

بمؤلفاتهم وكتبهم في مختلف العلوم وردودهم على مختلف الفرق المعارضة ومن أهمهم:

1- هود بن محكم الهواري الذي ألف كتاب الله العزيز وهو تفسير على نهج سلف[1]

2- محمود بن بكر وكان يؤلف الكتب في الرد على الفرق.[2]ومنهم عبد الله اللمطي الهواري الذي اشتهر في الجدل والمناظرة وعلم الكلام وكانت له مؤلفات في الرد على الفرق ومقالاتها.

3- أبو سهل الفارسي له اثني عشر ألف في المواعظ والتاريخ وقصائد البربري ولكنها احترقت كلها في ثورة أبي النكاري عند هاجم قلعة بني درجين.[3]

أما في الجبل فقد اشتهر عمروس ابن افلح مؤلف كتاب الدينونة الصافية وكتااب ((الرد على الناكثة وأحمد بن الحسين)) ونسخة لمدونة أبي غانم الخرساني.[4]

- أبو معروف ماطوس بن هارون صاحب كتاب ماطوس في ثلاثه مئة مسألة ومواعظ كتاب الأخوة

- وفي فزان أشتهر بكار بن محمد الفزاني وله كتاب يعرف بإسمه((كتاب بكار بن محمد الفزاني))[5]

[1] معمر يحيى: مرجع سابق الذكر ،الحلقه 4،ص183
[2] الباروني سليمان: مصدر سابق ج2،ص88
[3] الدرجيني: أبو العباس،مصدر سابق،ج2،ص352
[4] بحاز ابراهيم: مرجع سابق،ص378
[5] جمعية التراث،دليل المخطوطات،ج1،مهرس البدر بطاقة رقم 212

- وعبد الخالق الفزاني وله كتاب ((أصول الكلام))[1]

- وجناو بن فتى له أجوبة جناو بن فتى لأبي بكر عتيق بن أسدين وهذة الأجوبة والمراسلات مجموعة في كتاب((أجوبة علماء فزان)).[2]

- وأشتهر في الجنوب التونسي لواب بن سلام من توزر بكتابه((بدأالإسلام وشرائع الدين)) ومنهم أبو يوسف التمزيني ألف كتابا في الفقه لم تذكر المصادر عنوانه.[3]

- أما في ورجلان نبغ الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفي سنة 471هـ ألف في العقائد كتابا نفيسا في جزئيين سماه((التحف المخزونة والجواهر المصونة)).[4]

- ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر متو في سنة 504هـ ألف الكتب في عدة ميادين ومن كتبه ((الجامع في الفروع)) ويعرف بأين مسالة)) وله كتاب القسمة وكتاب أوصول الأرضين في عدة مجلدات وكتاب تبين أفعال العباد في علم الأخلاق في ثلاثة أجزاء وكتاب مسائل الأموات وكتاب الدماء وكتاب الأنواح.[5]

[1] بحاز ابراهيم: مرجع سابق الذكر،ص318
[2] بن فتى جناو: مصدر سابق الذكر،ص ص21 45
[3] أبو زكريا يحيى : مصدر سابق الذكر،ج1،ص137
[4] الدربيني أبو العباس: مصدر سابق الذكر،ج2،ص426
[5] الدرجيني: مصدر سابق ،ج2،ص446

- ومنهم أبو عمر وعثمان بن خليفه الميراغني السوفي تلقى علومه في ورجلان قال عنه الشماخي((...وله من التآليف كتاب السؤالات وهو كتاب مفيد أظهر فيه منزلته من العلم))[1]

- أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوني أن العلم بوارجلان ثم رحل إلى تونس وأقام فيها أعواما يتلقى علوم اللسان والمناطق ورجع منها واستقر بين وارجلان وجبال بني مصعب له مؤلفات عديدة منها كتاب الموجز في مقالات الإسلاميين وله شرح الجهالات وهو كتاب حسن التصنيف جيد البحث شرح فيه المسائل والكلامية التي أجلها الشيخ تيغورين بن عيسى في كتاب الجهالات وله مختصر في الفرائض وهو الذي رتب إسناد الطريفة الأباضية في طبقات قسمها على سنوات التاريخ تشغل كل طبقة خمسين سنة ما بينه وبين هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد ضمنها الدرجيني في أول جزء الاول من الطبقات[2].

- أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي, بلغ الغاية في علم الأصول والفروع كثيرة الإطلاع على مسال الاتفاق والإختلاف وله مساهمة طيبة في التدريس والتأليف ومن مؤلفاته رسالتان أخد اهمها في الفقه المقارن فصل فيها الجواب على عدد من المسائل التي يدور فيها الخلاف وذكر فيها مذاهب العلماء ومختلف الأئمة وساق

[1] الشماخي: مصدر سابق الذكر،ج2،ص440
[2] الدرجيني: مصدر سابق الذكر،ج2،ص485

فيها الأدلة وما أحتج به صاحب كل مذهب أما الأخرى تشمل على مواعظ وتنبيهات فقهية هامة كتب بها إلى جبل تفوسه

- أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم مناد السدراتي المتوفي سنة 570هـ تلقى دروسه الأولى في وارجلان على شيوخه كأبي اسماعيل أيوب وطبقته ثم رحل إلى قرطبة بالأندلس فنهل من علومها فصار كما قال الدرجيني((له في كل جو متنفس وفي كل نار مقتبس,له يد في العلم القرآن وفي علم اللسان وفي الحديث والأخبار وفي رواية السفر....))[1]

واما مؤلفاته فقد كتب في التفسير كتاب جليل القدر وصفه البرادي مارأيت منه وصفا يدل على قيمة العلمية الرفيعة لهذا التفسير وقال البرادي((هو كتاب عجيب رأيت منه في بلاد أريغ سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت سفرا أضخم منه ولا أكبر منه وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران,...))[2]

أما في علوم الحديث فقدأعاد ترتيب مسند الربيع ابن حبيب و ترتيبه هو المتداول اليوم وله في أصول الفقه كتاب جميل هو كتاب العدل والإنصاف في ثلاثة أجزاء وله كتاب الدليل لأهل العقول في أصول الدين ومباحث علم الكلام,المنطق والفلسفة.

[1] الشماخي: مصدر سابق الذكر،ج2،ص344
[2] الباروني سليمان : مصدر سابق ص77

أما بأريغ فقد اشتهر عبد الله بن محمد الفرسطائي وهو من أشهر علماء الإباضية في القرن الخامس هجري اشتهر بتأسيس نظام العزابة وله تأليف كثيرة في كل فن لم تذكرها المصادر غير ان تلاميذه قاموا بجمع آرائه من بعده في كتب آشهرها ((كتاب التحف المخزونة)) لتلميذه سليمان بن يخلف[1] ومنهم عبد الله العاصمي الذي ألف رساله في المواغظ والنصائح[2]

هذا بالنسبة للتأليف الفردي أما المؤلفات الجماعية فأشهرها ((ديوان الاشباح))وهو عباره عن موسوعة فقهية ساهم في تأليفها سبعة علماء [3]في غار امجاج بجربة سنة405هـ/1014م وتقع هذه الموسوعة في 12 جزءا ومن الموسوعات أيضا ديوان العزابة الذي ألفه ثمانية علماء إباضيين في تجديت بأريغ ويقع هذا المؤلف في 25 كتابا وهؤلاء العلماء يوسف بن عمران من تجديت وأبو سعيد الزترفي من أمسنان بالجبل ويوسف بن موسى من قنطرار الجنوب التونسي وإبراهيم بن مطكوداسن الدمجي من أريغ وأبو العباس أحمد الفرسطائي من وارجلان وأبو سليمان اليرجتاحني من وارجلان وأبو يعقوب يوسف بن سلهون من وارجلان وأبو نوح بن سعيد بن يخلف المدوني من الزاب ومن هذه الموسوعات كتاب الوصايا البيوع لمحمد ويسلان الذي أملاه على ثمانية من تلاميذه بجربة ثم راجعوه معه وهم

[1] الشماخي ابو العباس،مصدر سابق الذكر،ج2،ص61
[2] الوسياني ابو ربيع،مصدر سابق الذكر،ج2،ص145
[3] العلماء السبعة هم:أبو عمران مويى بن زكرياء من تجديت،بأريغ وجابر بن سدر مام من جربة،وكباب بن مصلح من جربة، أبو عمر النميلي من اجلو،أبو عبد الله بن نوح.

أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي,معالج بن يحيى,حمو بن أفلح,يجمي بن ويجمن يحيى بن بيدر ,العز بن تاغيارت ,ماكسن بن الخير وأبو القاسم عبد الرحيم.

اما تربية الناشئة في المجتمعات الاباضية فظهر اثره لما انتقل الاباضية الى وادي ميزاب حيث نقلو معالم حضارتهم الى تلك الربوع من علوم وفنون واداب وظلق الحلقات العلمية والدينيه باقية وقد استفادت هذه المنطقه من الوفود الكثيرة التي قدمت من جبل نفوسه وجربه وسدراته واريغ ووراجلان [1]

والى جانب الدور الكبير للعزابة في الحياة الثقافية على مستوى كل مدينة من مدن ميزاب فهناك مجلس موجد يضم كل المدن هو مجلس عمي سعيد في غرداية العاصمة الادارية بميزاب وقد أثره العلماء الصالحون ونسبب المجلس الى عمي سعيد اعترافا بفضله فكان من الوافدين من جربة الى وادي ميزاب لأجل تعليم المجتمع الميزابي ولم ينقطع عن ذلك العمل حتى وفاته [2]

هؤلاء العلماء الوافدون للامامه و التدريس في المساجد وأثمرت جهودهم في ظهور نخبة من العلماء الاجلاء الدين أثروا الساحه الثقافية بمؤلفاتهم في مختلف حقول العلم ومن اهمهم على سبيل المثال عبد العزيز الثميني صاحب كتاب النيل و الشيخ اطفيش الحاج امحمد له كتاب في الاصل والفرع ومحمد الصالح الثمني و له كتاب الورد البسام في رياض الاحكام وابي يعقوب الوارجلاني صاحب كتاب الدليل و البرهان في اصول الدين وابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سليمان ومن مؤلفاته كتاب بيان الشرع [3]

[1] الدرجيني مصدر سابق ج 2 ص 412

[2] محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة، ط1 1385هـ - 1965م المطبعة التعاونية ، دم ، دت ص 241

[3] صالح بن داود يوسف بافولولو : من لايعرف الاباضية ، جم ، ترت، الشيخ محمد ايوب صدقي و ابراهيم باكير فخار ، ط2 دت دار نزهة الالباب مطبعة الواحات غرداية ، دت ص 115

المبحث الثالث: أثرها في الحياة الدينية

من الصعوبة فصل الجانب الديني عن الثقافي في العصر الوسيط وذلك راجع إلى التداخل الكبير بينهما من جهة ومن جهة أخرى فالثقافة إتسمت بالصبغة الدينية و اعتبرت من الوسائل المساعدة على نشر تعاليم الدين الإسلامي.

والحركة الإباضية كغيرها من الحركات الإسلامية الأخرى لم تشد عن هذه القاعدة.

ونظرا للعناية التي أولتها الحركة الإباضية للتربية والتعليم فإن تأثيرها ظهر جليا في الجانب الديني والعقائدي.وتجلت مظاهر هذا التأثير في ظهور أعلام مغاربة في العلوم الدينية كالشيخ مهدي النفوسي1 وإبن يانس الذي ذاع صيته في التفسير وأبو الحسن الابدلائي الفقية 2 وعبد العزيز الأوز 3 ويعقوب بن سيلوس4 وقد ألفوا بالعربية والفارسية, ومنهم من كتب بلغة البربر كابن سهل الفارسي5. ونتج عن ذلك قيام تنافس فكري بين الإباضية وغيرهم من المذاهب الأخرى التي وفدت إلى بلاد المغرب الإسلامي حيث جرت ملاحم فكرية بين المالكية والمعتزلة ثم مع الشيعة الفاطميين

1 - مهدي النفوسي الويغري : قال عنه الشماخي : المقدم في علم الجدال الدي له اليد العليا في البرهان والاستدلال

2 - الشماخي:مصدر سابق،ص155

3 - الباروني سليمان بن عبد الله : مصدر سابق ج2،ص 70

4 - نفسه ص 48

5 - نفسه ص 68.

أشهر المذاهب والفرق الإسلامية:

1-المذهب المالكي

إنتقل المذهب المالكي إلى تاهرت عن طريق الحج والتجارة وعلماء مالكيين للإقامة أو للمرور وقد وجد فيها من العرب والجند القرويين منذ عهد الإمام عبد الرحمان بن رستم1.

ولم يقف الإختلاف المذهبي حائلا دون قيام تعايش بينهما ويعود ذلك إلى التقارب بينهما وطبيعة المذهب الاباضي الذي يتسم بالاعتدال مقارنة بغيره من المذاهب بالإضافة إلى التسامح المذهبي. فقد دعا الإباضة المالكية للمناظرة في مسائل العقيدة والشريعة2، كما حضي المالكية بتسامح كبير حتى أن بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت3. ويروي ابن الصغير عن الحرية التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تاهرت فيما عدا المسجد الجامع وإبن الصغير يروي بنفسه عن محاوراته ومساجلاته مع مشايخ الإباضية دون أن يتعرض لأي أذى.هذا التقارب بين المذهبين جسده التحالف بين الإباضية والمالكية لمناوأة المذهب الشيعي.

1 - جودة عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط ، دت ص ص 98-99
2 - إبن الصغير المالكي:مصدر سابق ص 57
3 - الشماخي:مصدر سابق،ص 236

2- المذهب الحنفي:

إنتشر المذهب الحنفي في القيروان عن طريق التجار الكوفيين والدعاة ومنها إنتشرت في تاهرت فقد وجد فيها أحناف في عهد عبد الرحمان بن رستم وبنوا مسجدا خاصا بهم مما يدل على تميزهم في شعائرهم الدينية عن الإباضية 1. وبالرغم من أسبقية المذهب الإباضي في الوصول إلى المغرب إلا أن ذلك لم يحدث صراعا بين المذهبين وخصوصا إذا علمنا بوجود مسائل خلافية بينهما.ففي تاهرت إشترك علماء الحنفية في المناظرات وذكر إبن الصغير أن من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم2.

3-مذهب الصفرية:

هم أتباع زياد بن الأصفر,إستقروا في تالغمت,كانوا تحت لواء الدولة الرستمية.

وتذكر المصادر أن حلقات الصفرية و الإباضية كانت تعقد في مساجد إفريقيةوفي جامع القيروان.

1 - ابن الصغير المالكي: مصدر سابق،ص 50
2 - نفسه ص 57

وحسب البكرى فإن الصفرية لم يتحالفوا مع الثائرين على الرستميين كالنكارية والواصلية1.

إلا أن أبا زكريا يشير إلى أنهم تحالفوا مع أبي عبد الله الشيعي عندما نزل خارج تاهرت بقوله<<...ومن بها من الصفرية وشكوا إليه إمارة الفرس>> ويستشف من هذا معارضتهم للرستميين في أواخر أيامهم

4- الواصلية المعتزلة

إنتشر مذهب المعتزلة في قبائل زناته وكان أول ظهور لهم بتاهرت في عهد الإمام عبد الوهاب ونجح الواصلية في حمل قبائل زناته على إعتناق مذهبهم رغم وجود المذهب الإباضي وهذا يؤكد دلالة قاطعة على مدى تسامح الإباضية مع المذاهب الأخرى.

وحضي الواصلية في تاهرت وما حولها بتسامح ديني إلى أبعد الحدود إقتداء بما كان يسلكه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ إباضية المشرق مع زعيم الواصلية واصل بن عطاء2

1 الواصلية المعتزلة :مذهب واصل بن عطاء الغزال من ائمة البلاغة وعلم الكلام ، وطائفته المعتزلة ويعزى للواصلية نشر المذهب المعتزلي .ابوزكرياء يحي : مصدر سابق ص 73.

2 الدرجيني: مصدر سابق،ج1،ص105

ونعم المعتزلة بتسامح كبير فكانوا يلتقون في مناظرات ومشايخ الإباضية على نهر منيه

5 – الشيعة:

عندما عسكر أبو عبد الله الشيعي على مقربة من تاهرت خرج إليه بعض المخالفين من أهلها وشكوا إليه إمارة الفرس[1].

وهذا دليل قاطع على وجود الشيعة في تاهرت رغم أنه لم يظهر لهم نشاط فكري واضح ولم يكشف عن وجودهم إلا بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 297 هـ/909م[2] وأشهر هذه المناظرات بين أبي تميم المعز لدين الله الفاطمي وأبي نوح سعيد بن زنغيل [3].

تشير بعض المصادر إلى وجود أقلية مسيحية ويهودية في تاهرت عاشت إلى جانب العرب و البربر والإباضيين في تسامح بينهم ويذكر أن أفلح بن عبد الوهاب (208هـ–258 هـ)إتخذ من وجهاء الأقلية المسيحية خاصته كما حضي المسيحيون في عصر الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي بكر بن أبي اليقضان بمكانة متميزة

1 - أبو زكرياء:مصدر سابق،ص112
2 - الباروني سليمان: مصدر سابق ص 48
3 - نفسه ص 115

فاعتبروا من وجوه أهل البلد1 وكان لهم كنيسة معروفة في أعلى موضع لمدينة تاهرت يمارسون فيها شعائرهم التعبدية فيها بكل حرية2.

ومجمل القول أن مختلف العناصر المذهبية عاشت في إنسجام ووئام وتوافق تجمع بينهم.

1 - أحمد مختار لعبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان،ص373
2 - إبن الصغير المالكي: مصدر سابق، ص79

الخاتمة

الخاتمة :

من خلال الدراسة المتواضعة التي قمنا بها خلصنا الى جملة من الاستنتاجات الآتية:

1-الظهور الفعلي للحركة بدأت بالدعوة السرية على يد ابي بلال مرداسي.

2-التجمعات الاباضية مقصدا للعلماء والتجار والصناع من مختلف الاجناس : عرب ، عجم ، مسيحيون و يهود ولذلك غدت تاهرت عراق المغرب .

3-الحركة الاباضية دات صبغة علمية دينية محضة فالدين هدف اسمى للمذهب فوق الجاه والترف والنعيم والعلم والتربية من الوسائل الفعال لتحقيقه .

4-أن النظام التربوي التعليمي في بلاد المغرب الاسلامي امتداد للنظام التربوي التعليمي الذي بدأ في البصرة .

5-سير العزابة يرجع له الفضل في الحفاظ على المذهب وحمايته من الاندثار بعد سقوط الدولة الرستمية ولا يزال معتمدا الى اليوم في غرداية .

6-الهدف الاسمى عند الاباضية هو نشر الاسلام وفق مذهبهم اما اقامة الدولة فهي مجرد وسيلة لتحقيق ذلك الهدف.

7-قدرة تكيف المجتمعات الاباضية مع الظروف المحيطة بها فلم تثنهم عن مبادئهم ثورات ولا دول مناوئة لهم كبني امية وبني العباس .

8-روح التسامح و الاعتدال التي تميز بها المذهب الاباضي جعلت الجميع من بربر وعرب واقليات مسيحية ويهودية يعيش في جو من الانسجام و الاستقرار والتفاهم .

9-اعتماد مبدأ الكفاءة في اختيار الامام بغض النظر عن جنسيته

10- تأثر المذهب الاباضي بالفكر المعتزلي في المعتقد في قضية القرآن واستحالة رؤية الله في الآخرة

11- ساهم النظام التربوي والتعليمي في تخريج صفوة من المجتمع الاباضي على راسهم أئمة الدولة الرستمية وعلماء ودعاة المذهب

الملاحق

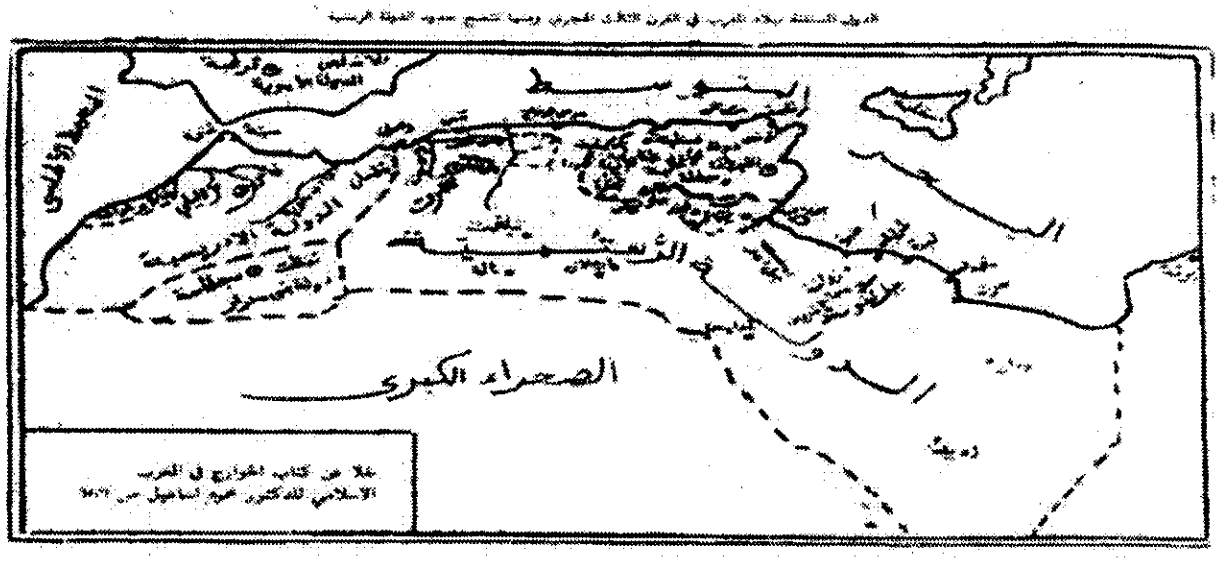
الصحراء الكبرى

نصوص **لابن خلدون**(732-807هـ /) و هي مستقاة من المقدمة التي تعبر أهم ومؤلفاته، التي حوت أسس علم الاجتماع الحديث، و لا أدل على أهميتها من أنها ترجمت لأغلب لغات العالم، و قد كان ابن خلدون مدركا لذلك عندما قال: « و أعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة.. و لعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة».

1- أهمية العلوم التطبيقية: « اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي، و بكونه عمليا هو جسماني محسوس، و الأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها و أكمل، لأن المباشرة في الأعمال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة. و الملكة صفة راسخة، تحصل عن استعمال ذلك الفعل، و تكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. و على نسبة الأصل تكون الملكة، و نقل المعاينة أوعب و أتم من نقل الخبر و العلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل و أرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر.»

2-أهداف التربية:

« إن الملكات صفات للنفس و ألوان، فلا تزحم دفعة، و من كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات و أحسن استعدادا لحصولها..و أيضا فهنا سر آخر و هو أن الصنائع و إجادتها إنما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها و توجه الطلبات إليها.. و ذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة، فرها الله كما فطر سائر مبتدعاته في البطن الأوسط من الدماغ، تارة يكون مبدءا للأفعال الإنسانية على نظام و ترتيب، و تارة يكون مبدءا لعلم ما لم يكون حاصلا بأن يتوجه إلى المطلب، و قد يصور طرفيه و يروم نفيه أو إثباته، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحدا، و ينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعددا، و يصير إلى الظفر بمطلوبه»

3- في علم التفسير: «...صار التفسير على صنفين: تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، و هي معرفة الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و مقاصد الآي و كل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة و التابعين...أما النوع الثاني من التفسير فهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة، و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب، و هذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفصل عن الأول، و هذا النوع من التفسير إنما جاء بعد أن صار اللسان و علومه صناعة »

4- في علم الكلام: « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالحجج العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة.. »

بسم الله الرحمـ ـن الرحيم

لائحة نظام العزابة في وادي ميزاب في العصر

الحاضر، و المعمول بها في القرى السبع، العطف،

بنّورة، غرداية، بريان، بني يسقن، مليكة، القرارة.

1- شروط الارتقاء إلى مجلس العزابة:

للدخول إلى حلقة العزابة شروط معينة، يصبح الشخص بموجبها عضوا في حلقة قريته:

أ- أن يكون حافظا لكتاب الله الكريم دون لحن أو خطأ.

ب- أن يكون إباضيا متحمسا متفانيا في خدمة الدين و المسلمين، حريصـ ـا علـ ـى حفظ تراثه.

ت- أن يمر بمراحل التعليم المختلفة، و أن يكون خلال دراسته من الطلبـ ـة الذ ـابهين المجدين إن أمكن.

ث- أن يكون أديبا كيسا ذكيا، حسن السيرة و الأخلاق، جادا في طلب المزيد من العلم و المعرفة.

ج- أن لا يكون ممن عرف بكثرة تردده على الأسواق و الأماكن العامة.

ح- أن لا يكون حقودا أو حسودا أو متكبرا.

خ- أن يكون زاهدا في الدنيا و ملذاتها.

د- أن يتقيد بالزي الرسمي للعزابة.

ذ- أن يتعهد بالقيام بأي عمل يكلفه به شيخ العزابة، و أعضاء المجلس الأقدم منه.

ر- أن لا يكون عمله الذي يرتزق منه يلهيه عن القيام بواجباته، و يجبذ أن تكون المهنة لا تجبره على الاختلاط كثيرا بعامة الناس.

واجبات شيخ الحلقة:

لشيخ الحلقة مهام كثيرة و مسؤوليات جسام، وواجبات حتمية، تجتمع في "الشيخ" كل السلطات إلا أنه لا يمارس النفوذ المطلق بحيث لا يبرم أمرا و لا يبت في قضية إلا بعـ ـد استشارة أهل الحل و العقد(الأعوان الأربعة). و تتلخص مهام الشيخ فيما يلي:

- يستمر الشيخ في منصبه مدى الحياة و كذلك الأربعة المقدمون على رأس الحلقة إلى أن يتوفى أو يعزل لأمر ما.
- يتولى أحد الأربعة الكبار النيابة عن الشيخ في الحالات الانتقالية أو سفر أو سـ ـبب من الأسباب.
- يتولى التدريس لطلبة العلم" إروان" و العزابة.
- يقيم دروس الوعظ و الإرشاد و التوجيه الديني للعامة في المساجد.
- يمثل الشيخ هيئة العزابة، فيتحدث باسمها في كل أعماله و ينفذ قراراتها.
- يتولى الشيخ الإشراف على كل شؤون البلدة(إباضيتها).
- الإعلان عن كل قرارات العزابة التي يتفق حولها لتنفذ.
- يجتهد في نوع العقوبة مثل الخطة أو الجلد أو الطرد.

الإمام	أهل الشورى	أمث . لة
- عبد الرحمان بن رستم	مجلس شورى ذو طابع تمثيلي نيابي يتشكل من فئتين: - زعماء القبائل. - الفقهاء و العلماء.	- المشاورة في قضية معونات أهل المشرق. - العدالة في السياسة و توزيع الثروات. - التقشف و التواضع لجماهير. - جعل نظام الإمامة بعده شورى بين جماعة من العلماء(أهل الاختيار).
- عبد الوهاب	- مجلس شورى يضم وجوه الناس و الفقهاء(جماعة الشراة). - مجلس شورى ضيق يضم كبار القادة في الدولة و المقربين من الإمام.	- المشاورة في قضية النكار و معاملتهم و مقاتلتهم.
- أفلح	- جماعة الشراة	- تولية محكم الهواري القضاء.
أبي اليقظان بن أفلح	- مجلس شورى يضم اساسا الفقهاء و الاباضية و المذاهب الأخرى.	

جدول يمثل مجلس الشورى في فترة حكم أهم الأئمة الرستميين.

قصيدة الإمام أفلح بن عبد الوهاب في الحثّ على العلم

العلم أبقى لأهل العلـ ـم آثـ ـارا ✹✹✹✹ يريك أشخاصهم روحا و أبكارا

حي و إن مات ذو علم و ذو أدب ✹✹✹✹ ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

و ذو حياة على جهل و منقصة ✹✹✹✹ كميت قد ثوى في الرمس أعصارا

لله عصبة أهل العلم إن لهم ✹✹✹✹ فضلا على الناس غيابا و حضارا

العلم علم كفى بالعلم مكرمة ✹✹✹✹ و الجهل جهل كفى بالجهل إدبارا

العلم عند ذكر اسمه أكرم به شرفا ✹✹✹✹ و الجهل عند ذكر اسمه أعظم به عارا

يشرف العلـ ـم للإنسان مترلة ✹✹✹✹ و يرفع العلم للإنسان أقدارا

العلم در له فضـ ـل و لا أحد ✹✹✹✹ في الناس يدري لذاك الدر مقدارا

للعلم فضـ ـل على الأعمال قاطبة ✹✹✹✹ عن النبيء روينا فيه أخبارا

يقول: طالب علـ ـم بات ليلـ ـته ✹✹✹✹ في العلم أعظم عند الله أخطارا

من عابد سنـ ـة لله مجـ ـتهدا ✹✹✹✹ صام النهار و أحيا الليل إسهارا

و قال: إن مداد الطالبين علـ ـى ✹✹✹✹ ثيابهم و على القرطاس أسطارا

مثل دم الشهداء المكرمين لهـ ـم ✹✹✹✹ فضل فأكرم بأهل العلم أخيارا

و قال: و هم يرثون الأنبياء كذا ✹✹✹✹ فيهم روينا أحاديثا و أخبارا

أشدد على العلم رحلا فوق راحلة ✹✹✹✹ و صل إلى العلم في الآفاق أسفارا

و اصبر على دلج الأغساق مغتسقا ✹✹✹✹ مهامه الأرض أعسافا و أقطارا

حتى تزور رجالا في رحالهم ✹✹✹✹ فضلا فأكرم بأهل العلم زوارا

و ألطف بما أنت العلم منه مقتبس ✹✹✹✹ جدد له منك كل يوم إبرارا

و أحسن الكشف عن علم تطالبه ✹✹✹✹ و الزم دراسته سرا و إجهارا

و لا تكن جامعا للصحف تخزنها ✹✹✹✹ كالعير يحمل بين العير أسفارا

نعم الفضيلة نعم الذخر ثروته ✹✹✹✹ لنفسك إن أحسنت آثارا

و إن همت بخير الناس تألفهم ✹✹✹✹ ألفت بالعلم أبرارا و أخيارا

فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به ✹✹✹✹ و اعمل بعلمك مضطرا و مختارا

و اطلبه ما عشت في الدنيا و مدتها ✹✹✹✹ بموقف العرض ألا تورد النارا

و اجعله لله لا تجعله مفخرة ✹✹✹✹ و لا ترائي به بدوا و أحضارا

. . . . . .

دبوز(علي): المغرب الكبير، ج3، ص.376-377.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

اولا القرآن الكريم

ثانيا المصادر العامة العربية

1 – ابن حزم ابو محمد علي بن سعيد (ت 456هـ /1064م): الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تح محمد ابراهيم و عبد الرحمان عميرة ط 2 ، دار الجبل ، بيروت 1416 هـ 1996م ج5

2 – ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد بن علي (852هـ / 1442م): الاصابة في تمييز الصحابة ط 1، ج5 تح علي محمد البخاري ، دار الجيل بيروت 1412هـ 1992م ص 100

3– ابن الصغير المالكي(ق 3هـ/9م): اخبار الائمة الرستمية قرن 3هـ ، تح محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دم ط ،1985م.

4 – ابن عبد الحكم ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله: (257هـ 871م): فتوح مصر والمغرب، تح عبد المنعم عامر، الذخائر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ت.

5 – خير الدين الزركلي: الاعلام ، دار العلم لبنان ط 15 2002 ، ج 2.

فاروق عمر فوزي : الامامة الاباضية في عمان ،منشور جامعة ال (بيت) عمان .

1– المبرد أبو العباس محمد يزيد (ت 286 هـ / 899 م) : أخبار الخوارج ، دار الفكر لبنان ، ط 2005 .

6– ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر ،سهيل زكار ،د ط ،ج 6 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، 1421هـ ،2009م .

7 – الاشعري ابو الحسن: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1 المكتبة العصرية بيروت 1411هـ ج1.

8 – ابو مظفر الاسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، عالم .

9– الحسن ابن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا محمد حجي و آخرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 1983 م، بيروت ج 2.

10 – البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيزي (ت 487هـ / 1094م) : المغرب في ذكر إفريقية و المغرب ، د ط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د س.

11 – البرادي ابو القاسم بن ابراهيم(ق 8هـ/14م) : الجواهر المنتقاة في ما اخل به كتاب الطبقات ، ددن ، دط ، طبعة حجرية قسنطينة 1302هـ.

12 – البلاذري احمد ابو الحسن احمد بن يحي بن جابر : فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ط1،لبنان، د ت.

13 – المقدسي عبد الله بن أحمد بن قدامة (541هـ – 620هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة خياط بيروت ، لبنان 1906 .

الاول حتى القرن العاشر(95 هـ – 928 هـ ، 713 م – 1520 م) المكتبة العصرية صيدا، بيروت 1421 – 2000 م .

14– البغدادي صفي الدين عبد المؤمن (ت 739 هـ) الفرق بين الفرق د ط ، د ت.

15– المقريزي أبو العباس تقي الدين احمد بن علي(845هـ /1441م) :اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي ومحمد أحمد القاهرة 1324 هـ .

16 – ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1299م): معجم البلدان د ط ج 2 دار الفكر ، بيروت ، د ت.

ب المصادر الاباضية

1- ابن سلام لواب بن عمرو اللواتي (ت 273هـ/888م): كتاب الاسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية ، تح ر. ف سفارتز و سالم بن يعقوب، د ط، دار اقرا بيروت 1405هـ - 1985م.

2 - ابو زكرياء يحي بن ابي بكر الورجلاني (ت : ق 5 هـ /11م) : كتاب السير الأئمة وأخبارهم تج اسماعيل العربي المكتبة الوطنية، الجزائر 1979 م / 1399هـ

3- الجيطالي اسماعيل ابو طاهر بن موسى (750هـ /1349م) : قناطر الخيرات ، ج1 تح عمرو خليفة النامي ، مكتبة وهبة القاهرة 1965 م.

4- البغطوري محمد بن مقرين (حي 599هـ 1203م) سير مشائخ نفوسة، مكتبة ابي اسحاق غرداية .

5 - الدرجيني أبو العباس, احمد بن سعيد, طبقت المشايخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث فسنطينة الجزائر د ط، د ت, ج1 .

6 - الشماخي ابو العباس احمد بن ابي عثمان سعيد(ت 927هـ /1521م): السير ، در و تح ، محمد حسن، ط1، ج1 دار المدار الاسلامي 2009م

7 - الورجلاني ابو يعقوب بن يوسف بن ابراهيم(570هـ /1174م) : الدليل

8 - مؤلف مجهول, السير والجوابات لعلماء وائمة عمان، تح و ن سيدة اسماعيل كاشف، د ط, وزارة التراث القومي، سلطنة عمان 146 هـ -1986م.

9- الورجلاني ابو يعقوب بن يوسف بن ابراهيم, (570هـ/1174م) الدليل والبرهان، تح: سالم بن احمد الحارثي، د ط, وزارة التراث القومي سلطنةعمان 1403هـ - 1983 م

10 - يحيى بن أبي بكر أبي زكرياء, كتاب سير الأئمة تح وتع اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية

المراجع

1- ابن واضح احمد بن ابي يعقوب : صفة المغرب ماخودة من كتاب البلدان مطبع بريل ليدن 1860.

2- أبو الربيع الباروني: مختصر تاريخ الاباضية ط 2 ، تونس 1983 م .

معجم إعلام الإباضية ج 2 .

4- أبو راس المرزوقي: مؤنس الأحبة في أخبار جربة المطبعة الرسمية، تونس م1960 .

5- احمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الاسلامي (جوانب التاريخ والنظم

6 – اروهان اتش: الاباضية من مصادرها ، بحث في النشاة والمفاهيم والعلاقات والواقع ، تر سعيد الحاج ، نقد باباعلي ، اطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في تاريخ المذاهب ، اشراف توفيق يوجد دوغرو ، جامعة اولو داغ ط1 ، مطبوعة كتابك ، 1435 هـ -1014 م.

7 – الباروني سليمان بن الشيخ عبد الله ، الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية، تح احمد كروم واخرون ط3 ج2 دار البعث قسنطين ، الجزائر 143هـ /2002م .

8 – الجنحاني الحبيب: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40 تونس 1975

9 – النامي عمرو: دراسات عن الإباضية ط 1 دار الغرب الإسلامي بيروت 2001

10 – الرافعي مصطفى: حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، دار الكتاب اللبناني –دار الكتاب المصري ، بيروت لبنان 1978

الجزائر 1979 – 1399 هـ

الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري ، مجلة الأصالة العدد 42 – 43 مطبعة البعث قسنطينة ، 1397 هـ – 1977 م .

11- الطيباوي عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط 2 ، 1979.

12 - السمائلي سالم بن حمود: الحقيقة و المجاز في تاريخ الإباضية في اليمن و الحجاز وزارة التراث القومي ، مصر 1980 م .

13- الشرقاوي عبد المنعم: ملامح المغرب العربي ط1، دار المعارف ، الاسكندرية ، مصر 1959 م.

14- أعوشت بكير بن سعيد: دراسات اسلامية في اصول الاباضية ، ط3 دار التضامن للطباعة .

15 - إسماعيل محمود: الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية د ط ، دار القلم .

16 - بكير واعلي: الامامة عند الاباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع اهل السنة والجماعة ، ط1 ج1،المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر 2001م.

17- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر ،ط1 ، المطبعة الوطنية الجزائرية 1965م.

18- جودة عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د ط ، د ت .

19- حافظ أحمد: التربية عند الإباضية مقال موجود بمكتبة صالح العلي بيني يزقن

20 - دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير ط 1 (1327 هـ / 1963 م) دار حياة الكتب العربية .

21- رابح تركي: مناهج البحث في علوم التربية و علم النفس د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب .

22- لعبادي أحمد مختار: تاريخ المغرب والأندلس, دار النهضة العربية, بيروت, لبنان.

23 – ناصر محمد: الشيخ اطفيش في جهاده الاسلامي، د ط, جمعية التراث الاسلامي د ت.
24– مؤنس حسن: فتح العرب للمغرب ومصر، مكتبة الاداب، القاهرة 1947 م
25– عبد الله كمال عبد الله عبد الله عبد الله: مدخل إلى علوم التربية الارسال 2 ، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب و العلوم الانسانية ، بوزريعة ،الديوان الوطني للتعليم و التكوين عن بعد، د ط، 2006 م.
26– عبد الرحمان حجازي : تطور الفكر التربوي الاباضي في الشمال الافريقي .
27 – علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الاولى نشاة المدهب الاباضي، ط 1 دار الكتاب العربي القاهرة 1384هـ 1964م .
28 – عمرو النامي: دراسات عن الاباضية، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2001م.
29– عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي من القرن
30– عمرو النامي: ملامح من الحركة العلمية لورجلان و نواحيها منذ انتهاء الدولة
31– عوض خليفات: التربية عند الاباضية د ط مؤسسة آل البيت، عمان 1992م.
32– فرحات الجعبيري: نظام العزابه عند الاباضية بجربة دط ، المطبعة العصرية
33 – فلهوزن يوليوس: احزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام (الخوارج والشيعة) تر عبد الرحمان بدوي، د ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1985 م.
34– عبد الرزاق محمود اسماعيل: الاغالبة (184 – 296) سياستهم الخارجية.
35– علي دبوز محمد: نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة.
ط1 1385هـ – ط1، مكتبة وراقة الجامعة فاس، المغرب 1978م.
36– محمد ناصر: حلقه العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي دط جمعية الثرات ، القرارة، الجزائر 1410 هـ 1989 م.

37- صالح بن داود يوسف بافولولو : من لايعرف الاباضية، جم، ترت، الشيخ صدقي محمد ايوب و فخار ابراهيم باكير : ط2 د ت, دار نزهة الالباب مطبعة الواحات غرداية ، د ت.
38- جمعية التراث, دليل المخطوطات,ج1,مهرس البدر بطاقة رقم 212, 1965م المطبعة التعاونية، دم، د ت .
39- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ص 4 مكتبة الشروق الدولية, مصر
40- معجم اعلام الاباضية ج2.

فهرس
المحتويات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....01

المدخل

نشأة الإباضية وظهورها في المشرق و انتقالها إلى المغرب الإسلامي

التسمية 06

نشأة المذهب الإباضي 09

معتقدات الاباضية 15

عوامل انتشار المذهب الإباضي في المغرب 17

قيام الدولة الرستمية.....21

الفصل الأول

المجتمعات الإباضية وعنايتها بتربية الناشئة

المبحث الاول: المجتمعات الإباضية.....27

المبحث الثاني: اهداف التربية عند الإباضية ومظاهر العناية بها.....33

المبحث الثالث: طرق ووسائل التربية والتعليم في مرحلتي الظهور والكتمان.....56

الفصل الثاني

اثر تربية الناشئة على الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية

المبحث الاول: اثرها على الحياة الاجتماعية.....62

المبحث الثاني: اثرها في الحياة الفكرية.....73

المبحث الثالث: اثرها في الحياة الدينية.....86

الخاتمة.....93

الملاحق 97

قائمة المصادر والمراجع.....104

فهرس المحتويات.....112